أجاثا كريستي

رحلة إلى الماضي

دار النجمة للنشر والتوزيع

رحلة إلى الماضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

رحلة إلى الماضي

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

نظر هيركيول بوارو باهتمام وإعجاب إلى الفتاة الجميلة التي دخلت إلى مكتبه، ولم يكن في الرسالة القصيرة التي بعثَت بها إليه شيء واضح، فهي مجرّد رجاء بأن يحدد لها موعداً للمقابلة، ولا شيء غير ذلك إلا التوقيع باسمها، كارلا لامرشان. وها هي ذي تأتي إليه بنفسها في الموعد المحدَّد. كانت فتاة طويلة رشيقة في ريعان الشباب في الثانية والعشرين من عمرها تنم ثيابها عن موفور ثرائها وينبّئ تألق عينيها الجميلتين عن فيض الصبا والحيوية والنضارة.

وحين وقف بوارو لتحيتها شعر بعينيها الرماديتين تمعنان في النظر إلى وجهه كأنها تريد أن تنفذ إلى أعماقه، ثم جلسَت أمام المكتب في هدوء دقيقة أو اثنتين وهي لا تزال تمعن النظر إليه في اهتمام وتفكير.

قال بوارو برفق: لا شك أنك تسائلين نفسك الآن إن كنت أنا حقاً الرجل البارع في كشف غوامض الجرائم أم مجرّد طبل أجوف.

فابتسمت وقاطعته قائلة بصوتها الموسيقى الرقيق: أجل،

هذا صحيح، فالواقع أنك لا تبدو على الصورة التي كنت أتخيلها عنك يا سيد بوارو.

- وعجوز أيضاً، أليس كذلك؟ أكبر سناً مما كنت تتوقعين.

- أجل، أنا صريحة كما ترى، والواقع أنني أريد أن أعهد بمهمتي إلى خير من يصلح للقيام بها.

- اطمئنّي من هذه الناحية؛ فأنا الرجل المنشود.

- يبدو أنك لا تعترف بشيء اسمه التواضع يا سيد بوارو. حسناً، سوف أعتمد عليكَ رغم المظاهر.

فقال بوارو بهدوء: أنا أعترف بالحقائق فقط.

- الإنسان لا يحتاج إلى استعمال عضلاته في الأبحاث الجنائية دائماً، بل أنا أحياناً لا ألجأ إلى الانحناء على الأرض لقياس الآثار واختبار ميل العشب لأتعرف على اتجاه السير، وإنما يكفي في كثير من الأحيان أن أجلس وأفكّر.

فنقر على رأسه المستدير كالبيضة وأردف قائلاً: هذا هو الذي يقوم بجميع ما ينبغي القيام به.

- أعرف، وهذا ما حفّزني للحضور إليك، فأنا أريد أن تقوم لي بمهمة عجيبة. اسمي ليس كارلا بل كارولين كاسم أمي، وأما لامرشان فهو ليس اسم أبي بل أبي هو أمياس كريل.

فقطّب بوارو جبينه ثم قال: أمياس كريل... يُخيَّل إليّ أنني أعرف هذا الاسم.

- إنه رسام معروف، ويؤكّد بعض المعجبين به أنه من أكبر الرسامين الفنانين، وأنا أعتقد هذا أيضاً.

- نعم، أمياس كريل، ولكنني أحاول أن أتذكره بمناسبة أخرى.

- لقد مات قتيلاً واتهمَت أمي كارولين بقتله.

- آه، تماماً، أنا أتذكر الآن؛ فقد كنت في الخارج وقتذاك، وأعتقد أن هذا قد حدث منذ سنوات طوال.

- ستة عشر عاماً.

ثم أردفت الفتاة قائلة بوجه شاحب وعينين تتألقان: لقد حوكمت أمّي وصدر الحكم بإدانتها، ولكنها لم تشنق بسبب وجود ظروف مخفّفة فعُدّل الحكم إلى السجن المؤبَّد، وقد ماتت بعد المحاكمة بعام، ومن ثَم ترى أن كل شيء قد انتهى و...

وضمت يديها إلى بعضهما ثم قالت بصوت متهدج: كنت عند وقوع الحادث في الخامسة من عمري، أي أنني كنت أصغر من أن أدرك تماماً ما يجري حولي. طبعاً أنا أتذكّر أبي وأمي وأتذكّر أنني هجرت البيت فجأة إلى الريف، كما أتذكر خِراف المزرعة السمان وزوجة المُزارع، وأتذكّر أن الجميع كانوا يعاملونني برفق.

ثم أخذت نفساً عميقاً قبل أن تستطرد: وأتذكّر بوضوح الطريقة العجيبة التي كانوا ينظرون بها إليّ. وكنت أعرف كطفلة أن شيئاً ما قد حدث، ولكنني لم أكن أعرف طبيعة هذا

الشيء. وأتذكر أنني ركبت باخرة في البحر، وكانت الرحلة مثيرة واستغرقَت بضعة أيام، وعندما وصلت إلى كندا استقبلني العم سيمون، وعشت معه ومع زوجته العمة لويز، وكنت كلما سألتهما عن أبي وأمي قالت إنهما سيلحقان بي سريعاً. وبمرور الأيام نسيت أمرهما بعد أن علمت (دون أن يخبرني أحد) أنهما قد ماتا. وعشت سعيدة في كندا، فقد كان العم سيمون والعمة لويز مثال الطيبة والشفقة والحب، ثم ذهبت إلى المدرسة وتعرفت بصديقات كثيرات ونسيت تقريباً كل شيء عن حياتي السابقة وأنا دون الخامسة، وحتى اسمي أصبح كارلا لامرشان بدلاً من كارولين كريل.

نظرت كارلا إلى وجه بوارو بإمعان برهة ثم استطردت تقول: انظر إلى وجهي. أنت حين تراني في الطريق أو وأنا أستقل سيارتي الخاصة الفاخرة ستشير إليّ وتقول: "هذه فتاة جمعت بين الجمال والمال والشباب وليس لها في هذه الدنيا متاعب على الإطلاق"، وهذا هو الواقع إلى حد ما؛ فأنا شابة جميلة وثرية وليس في الدنيا فتاة أتمنى أن أكون مثلها، ولكنني مع ذلك كله بدأت أسأل عن أبي وأمي: مَن هما؟ وماذا فعلا؟ وكيف ماتا؟ ولم يكن ثمة مفر من أن أعرف في النهاية كل شيء.

ومرة أخرى صمتت كارلا برهة قبل أن تستأنف حديثها قائلة: ولم يستطع العم سيمون والعمة لويز إلا أن يخبراني بالحقيقة، كل الحقيقة، لأنني حين بلغت الحادية والعشرين من عمري أصبحت حرة التصرف في الثروة الطائلة التي تركها أبواي لي ولأنه أصبح من حقي وأنا في هذه السن أن أقرأ الخطاب الذي تركته لي والدتي وهي على فراش الموت، ومن

ذلك الخطاب علمت الحقيقة الرهيبة، علمت أنها اتُّهمت بقتل أبي وقُدّمت للمحاكمة وصدر عليها الحكم بالسجن المؤبَّد، ويا لها من مفاجأة قاسية!

وتوقفت برهة أخرى ثم عادت تقول: وهناك شيء آخر يجب أن أصارحك به. أنا أحب شاباً أعتبره مثلي الأعلى في الحياة، ورغم أن الجميع لا يعترضون على زواجنا فقد طلبوا مني إرجاء الزواج حتى أبلغ الحادية والعشرين من عمري، وقد عرفت الآن السبب.

فقال بوارو وقد أدرك حقيقة الموقف: وهل عرف خطيبك حقيقة الموقف؟

- نعم، طبعاً، لقد أخبرته بكل شيء.

- وما رأيه؟ وماذا كان ردّ الفعل في نفسه؟

- قال إن الحب الحقيقي الذي يجمع بيننا لا يحفل بأحداث الماضي، بل المهم هو المستقبل.

ثم انحنت إلى الأمام وأردفت تقول: نحن ما زلنا مخطوبَين، ولكنني أفكر (بل أنوي) أن أفسخ الخطبة إذا لم أتأكد من براءة والدتي. نعم، لا تعجب يا سيد بوارو، وسوف أخبرك لماذا أوقن ببراءة والدتي. المهم الآن أن أؤكد لك أنني لا أستطيع أن أتزوج وأن أنجب أطفالاً وأعيش طول عمري في فزع من أن يعرف أطفالي حقيقة مأساة جدّيهم، كما لا أستطيع أن أحتمل أن يُشار إليهم على أنهم أحفاد السيدة التي قتلت زوجها.

- ألا تعرفين أنه لا يوجد الإنسان الذي يستطيع أن يزعم

أنه ينحدر من أصلاب أجداد لم يرتكبوا في حياتهم ما هو أسوأ من جرائم القتل؟

- حقاً لا يوجد مثل هذا الإنسان، ولكن معظم الناس لا يعرفون هذه الحقائق عن يقين كما أعرفها أنا عن والديّ وكما سيعرفها أولادي عن جدّيهم، وليس أدل على خطورة السيف المعلّق على رأسي من أنني شاهدت جون خطيبي يختلس النظر إليّ بشيء من الحيرة والتوجس بعد أن علم الحقيقة، فكيف إذا تزوجنا ثم حدث بيننا هذا الخصام الذي يحدث عادة بين الأزواج، ثم أرسل إليّ تلك النظرة الزاخرة بالحيرة والتوجس؟ أقول كيف يكون موقفي إذا شاهدته ينظر إليّ وكأنما يخشى أن أقتله كما قتلَت أمي أبي؟

- كيف قُتل أبوك؟

- بالسم.

- آه، أنت على حق.

- شكراً لله على أنك أدركت حقيقة مشاعري وأدركت لماذا يهمني هذا الأمر وإلى أيّ مدى يؤثر في مستقبلي. ومن ثَم لا تحاول أن تواسيني بعبارات جوفاء أو أن تقنعني بأن هذه مسألة عفا عليها الزمن.

- أنا في الواقع مدرك تماماً حرج موقفك يا آنسة لامرشان، ولكنني لا أعلم على وجه التحديد ماذا تريدين منّي؟

- أريد أن أتزوج جون وأن أنجب منه على الأقل ولدين وبنتين، والمطلوب منك أن تجعل هذا كله ممكناً.

فابتسم بوارو وقال: أنا تحت أمرك، ولكن كيف السبيل؟

- اسمع يا سيد بوارو، أريد أن أكلّفك بإعادة البحث والتحري لكشف الحقيقة عن سرّ مقتل أبي، وسوف أدفع لك كل ما تريد من مال.

- ولكن...

- أنا أعرف أن جريمة القتل هي جريمة قتل، سواء وقعَت اليوم أو منذ عشرين عاماً.

- ولكن يا آنستي العزيزة أريد أن...

- آه، انتظر لحظة، ففي المسألة نقطة هامة ينبغي أن تعرفها يا سيد بوارو.

- وما هي؟

- هي أن والدتي بريئة.

- لا عجب أن تؤمن الابنة ببراءة أمها رغم كل...

- لا، ليس للعاطفة دخل في شعوري ببراءة والدتي يا سيد بوارو، بل هو خطابها هذا. لقد تركَته لي قبل وفاتها واستلمتُه حين بلغت الحادية والعشرين من عمري، وهي لم تكتبه إلا لغرض واحد وهو إقناعي ببراءتها، وقد أقسمَت لي فيه وهي على فراش الموت أنها بريئة وأنني يجب أن أؤمن ببراءتها.

فقرأ بوارو الخطاب وأطرق برأسه مفكراً ثم قال: هكذا كلهم يقولون ذلك.

- لا، ليست والدتي من النوع الذي يكذب ليريح ضمير

الغير. الأطفال عادة يتذكرون أشياء لا تكاد تخطر ببال أحد... أجل، يتذكرونها، ومن بين ذكرياتي القليلة عن أمي أنها من النوع الذي لا يكذب أبداً. لقد كان الصدق طبيعة فيها، ومن ثَم فأنا أتذكّر أنني كنت شديدة الثقة بها وأنا طفلة، ولا زلت حتى الآن أشعر بهذه الثقة التي لا حدّ لها، ومن ثَم إذا قالت إنها لم تقتل أبي فهي لم تقتله فهي ليست من النوع الذي يقسم كذباً وهو على فراش الموت مهما يكن السبب.

- لنفرض أن والدتك بريئة حقاً، فكيف يمكن إثبات براءتها بعد أن مضي على الحادث ستة عشر عاماً؟

- أنا أعرف أن الأمر من هذه الناحية عسير، وأعلم أيضاً أنه لن يكون في وسع أحد غيرك أن يقوم بهذه المهمة.

فابتسم بوارو وقال: أنت تبالغين في إطرائي.

- لقد سمعت عنك، سمعت أنك تستطيع أن تكشف غوامض الجريمة وأنت جالس في مكتبك بعد أن تضع أمامك كل الملابسات المحيطة بها، أي دون أن تحتاج إلى فحص أعقاب السجائر أو قياس آثار الأقدام... ومن حسن الحظ أن جميع الذين كانوا في بيت أبي في أثناء موته لا يزالون على قيد الحياة.

- حسناً يا آنسة، سوف أجمع الحقائق من هؤلاء الأحياء وأعيد البحث والتحري، وأرجو أن أصل إلى الحقيقة.

فلما نهضَت وهي تشكره قاطعها قائلاً: أنا سأبحث عن الحقيقة أيّاً كانت يا آنسة لامرشان، أتفهمين؟

- نعم، أنا أريد الحقيقة الخالصة، فإذا ثبت لي يقيناً أن

والدتي هي القاتلة...

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة: فيجب أن أدفع ثمن الجريمة وأعتزل الحياة في دير لأدعو لها بالرحمة والغفران.

* * *

الفصل الثاني

قال مفتش الشرطة هيل وهو ينفث دخان غليونه: عجباً لك يا سيد بوارو. كيف يمكنك أن تعاود البحث والتحري لكشف غموض جريمة وقعت منذ ستة عشر عاماً؟

- أنا أعرف أنه أمر غير مألوف، ولكن...

- ولكن لماذا كل هذا العناء؟

- من أجل البحث عن الحقيقة، ومن أجل كارلا ومستقبلها. إن حياتها بين يدي الآن، فإما أن أتيح لها الفرصة لأن تتزوج وتنعم بالحياة كما ينبغي وإما أن تعتزل هذه الحياة في دير.

- ولكن أية حقيقة تريد إثباتها بعد أن ثبتت فعلاً منذ ستة عشر عاماً وصدر الحكم، ولولا الظروف المخفّفة لماتت كارولين كريل على حبل المشنقة؟

فقال بوارو بهدوء: أنا أعرف عنك أنك رجل مستقيم شريف جاد طول حياتك يا سيد هيل، وأرجو أن تخبرني بصراحة: ألم يخامرك الشك، أدنى شك، في إدانة السيدة كريل؟

- مطلقاً يا سيد بوارو لأن جميع الأدلة والقرائن وأقوال

الشهود تدينها.

- هل يمكن أن تخبرني بالأدلة التي أدانتها؟

- طبعاً، فمنذ أن تسلمت رسالتك بخصوص تلك القضية وأنا أراجع سجلّ الجريمة وأضع العلامات والإشارات تحت الحقائق الواضحة.

- شكراً جزيلاً يا صديقي، وأنا أشد ما أكون شوقاً إلى سماع تلك الحقائق.

فتنحنح المفتش هيل ثم قال بلهجة حادة: في تمام الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر اتصل الدكتور فوسيت هاتفياً بالمفتش كونوي فأخبره أن المدعوّ أمياس كريل مات في قصره في ألدربري، وأن الظروف المحيطة بالوفاة كما ذكرها السيد فيليب بليك صديق المتوفّى وأحد ضيوفه تحتّم وضع الأمر بين أيدي رجال الشرطة، ولذلك صحب المفتش كوني السرجنت رودي وطبيب الصحة، ثم أسرعوا إلى ألدربري.

وهناك مضى بهم الدكتور فوسيت تواً إلى جثة المتوفّى التي لم يحرّكها أحدٌ من مكانها. وكان السيد كريل قُبَيل وفاته يرسم في حديقة صغيرة مقفَلة تابعة لقصره تسمّى حديقة البحر، لأنها تطل من مرتفع على البحر وتقع على مسيرة أربع دقائق من القصر، ولم يكن السيد كريل قد ذهب إلى القصر ليشترك في تناول طعام الغداء مع زوجته وضيوفه لأنه أراد أن يرسم بعض الظلال والأضواء على لوحته في تلك الساعة من النهار قبل أن تميل الشمس نحو المغيب، ولذلك بقي بمفرده في حديقة البحر.

وكان آخر من رآه حياً هما الآنسة ألزا غرين ضيفة المنزل والسيد ميرديث بليك جاره وصديقه، وقد غادر الاثنان معاً حديقة البحر إلى القصر حيث اشتركا مع بقية الضيوف في تناول طعام الغداء. وبعد الطعام قُدمت للجميع القهوة في الشرفة الكبيرة، وفرغت السيدة كريل من شرب قهوتها ثم قالت إنها ستذهب إلى حديقة البحر لترى ماذا يفعل زوجها، ونهضت الآنسة سيسيليا ويليامز المربية معها وصحبتها في الطريق إلى حديقة البحر قائلة إنها ستبحث عن الصديرية الصوفية الخاصة بتلميذتها أنجيلا وارين، الأخت غير الشقيقة للسيدة كريل، وكانت المربية تعتقد أن أنجيلا تركت صديريتها على شاطئ البحر. وسارتا معاً في الطريق المتعرّج الذي تحفّ به الأشجار حتى وصلتا إلى الباب المفضي إلى حديقة البحر.

يمكنك هناك أن تدخل إلى الحديقة أو أن تستمر في الطريق الضيّق حتى تصل إلى الشاطئ. دخلت السيدة كريل الحديقة في حين استمرت الآنسة ويليامز في سيرها، ولكنها لم تلبث أن عادت مسرعة حين سمعَت صراخ السيدة كريل، وحين دخلت الحديقة رأت كريل متهالكاً على المقعد الخشبي الطويل ميّتاً، وطلبت منها السيدة كريل أن تسرع بالعودة إلى القصر لتتصل هاتفياً بطبيب. وفيما كانت الآنسة ويليامز في طريقها إلى القصر التقت بالسيد ميرديث فعهدَت إليه القيام بمهمة استدعاء الطبيب، ثم أسرعت عائدة إلى السيدة كريل وهي تشعر أنها أحوج ما تكون إلى أحد بجانبها في هذا الظرف.

حضر الدكتور فوسيت بعد ربع ساعة فأدرك من أول نظرة أن كريل مات منذ فترة غير وجيزة، وقد حدد موعد الوفاة فيما

بين الساعة الواحدة والساعة الثانية بعد الظهر. ولم يكن هناك ما ينمّ عن سبب الوفاة، لا إصابة ولا جراح ولا آثار اختناق، ورغم ذلك اشتبه الدكتور فوسيت في سبب الوفاة لأنه يعرف أن كريل كان يتمتع بصحة جيدة ولم يكن يشكو من أيّ مرض أو ضعف، ولهذا قرر أن يعرف كل الظروف المحيطة بالوفاة، وعندئذ أدلى السيد فيليب بليك إلى الطبيب ببعض البيانات التي جعلته يضع الأمر بين أيدي رجال الشرطة.

وتوقف المفتش هيل برهة وتنفس بعمق ثم عاد يقرأ وكأنه يبدأ الفصل الثاني فقال: وبطبيعة الحال أعاد فيليب بليك أقواله على مسامع المفتش كونوي فقال إنه تلقى في ذلك الصباح مكالمة هاتفية من أخيه ميرديث بليك صاحب ضيعة هاند كروس الواقعة على مسافة ميل ونصف الميل من قصر كريل، وكان ميرديث كيمائياً هاوياً أو على الأصح أحد هواة استخراج العقاقير من النباتات الطبية، وعندما دخل إلى معمله الخاص في ذلك الصباح لاحظ أن محتويات الزجاجة المحتوية على مادة الكونين المخدّر السام نقصت كثيراً رغم أنها كانت ممتلئة في اليوم السابق!

حين أزعجته هذه الحقيقة اتصل هاتفياً بأخيه فيليب بليك الذي كان ضيفاً على كريل في قصره فأخبره بهذا الأمر والتمس منه نُصحه فيما ينبغي أن يفعل، فطلب فيليب من أخيه أن يحضر تواً إلى قصر ألدربري ليتباحث معه في هذا الأمر، وقد سار فيليب ليلتقي بأخيه في الممر المؤدّي إلى القصر ثم عاد معه إلى القصر وهما يتحدّثان في هذا الأمر دون أن ينتهيا إلى نتيجة، فتركاه ليستأنفا الحديث بعد طعام الغداء.

أما الحقائق التي وصل إليها المفتش كونوي بعد التحريات والأبحاث اللازمة فهي: بعد ظهر اليوم السابق للوفاة سار خمسة أشخاص من قصر ألدربري لزيارة السيد ميرديث في منزله بضيعة هاند كروس، وهؤلاء الخمسة هم: السيد والسيدة كريل، أنجيلا وارين، الآنسة إليسا غرير، السيد فيليب بليك. وفي خلال الفترة التي قضوها هناك ألقى عليهم ميرديث بليك ما يشبه المحاضرة عن طريقة استخراج مخدّر الكونين من أعشاب طبية خاصة وعن قوة مفعوله، وعن أسفه لاختفاء هذا المخدر من الصيدليات الحديثة برغم أنه ثبت طبياً أن الجرعات القليلة جداً منه تشفي من السعال الديكي والربو، وأخيراً قرأ لهم فصلاً مؤثراً عن موت سقراط بعد أن وُضع في كأسه قطرات من هذا المخدر السامّ بالذات.

ومرة أخرى توقف المفتش هيل عن القراءة، ثم راح يحشو غليونه قبل أن يبدأ في قراءة الفصل الثالث من المأساة قائلاً: ووضع الكولونيل فرير مدير الشرطة هذه القضية بين يديّ، وقد ثبت بعد تشريح الجثة أن الوفاة نتجت عن التسمم بعقار الكونين رغم أن هذا العقار لا يكاد يترك أثراً يدلّ عليه في جسم الضحية، ولكن الأطباء عرفوا كيف يظفرون بهذا الأثر في جسم القتيل، وقد قرر هؤلاء الأطباء أن المخدر السامّ وُضع للمجني عليه قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث، وكان أمام كريل كأس وزجاجة فارغتان على منضدة صغيرة، وثبت من تحليل البقايا الموجودة فيهما أنه لا يوجد أثر للكونين في الزجاجة لكن الأثر موجود في الكأس الفارغة.

وقد علمت من تحرياتي أنه برغم وجود زجاجات وكؤوس

في خزانة خاصة بحديقة البحر لتكون تحت طلب السيد كريل إذا أحس بالظمأ، أقول برغم هذا فقد ثبت أن السيدة كريل في ضُحى ذلك اليوم بالذات حملت زجاجة من ثلاّجة القصر وذهبت بها إلى زوجها حيث كان منهمكاً في رسم لوحة للآنسة إليسا غرير التي كانت جالسة على سور الحديقة.

وفتحت السيدة كريل الزجاجة وملأت منها الكأس ووضعته في يد زوجها وهو واقف أمام لوحة الرسم، فشرب هو الكأس في جرعة واحدة كعادته، ثم بدا الامتعاض على وجهه وهو يعيد الكأس إلى المنضدة ويقول: "كل شيء في فمي اليوم مر"، فضحكت إليسا غرير وقالت له: "لا بد أن كبدك متعَب"، فأجاب هو قائلاً: "على كل حال هذا الشراب مثلج".

وتوقف هيل عن الحديث فقال له بوارو: كم كانت الساعة عندما حدث ذلك؟

- الحادية عشرة والربع تقريباً.

ثم استطرد المفتش هيل في حديثه عن الجريمة قائلاً: وظل كريل منهمكاً في عمله، وقد ذكرَت إليسا غرير أنه بعد فترة من تناول الشراب بدأ يشكو من تصلّب أطرافه فقال إنه لا بد موشك على المرض بالروماتيزم، ولكنه كان من نوع الرجال الذين يكرهون الاعتراف بأية حالة مرضية طارئة تعتريهم ولهذا السبب ظل متحاملاً على نفسه، ثم طلب من إليسا وميرديث في ضيق أن تدَعاه بمفرده وتذهبا لتناول طعام الغداء. وهكذا ظل بمفرده، وليس هناك شك في أنه تهالك ليستريح بعد ذهابهما، ولا شك أيضاً أن الشلل العضلي قد سرى في جسده بعد ذلك

كما قرر الأطباء. وهكذا لم يستطع أن يستنجد بأحد، وكانت النتيجة أنه مات في أثناء انشغال الجميع بطعام الغداء.

صمت المفتش هيل وكأنه يستعدّ لبدء الفصل الرابع من المأساة ثم عاد يقول: والآن فلنستعرض الحقائق التالية التي أثبتتها التحريات الدقيقة: في اليوم السابق حدثت مشادّة عنيفة بين إليسا غرير والسيدة كريل، وذلك عندما أعلنت الآنسة إليسا بجرأة أنها قررت الزواج بالسيد كريل وأنه اتفق معها على ذلك، فردّت عليها السيدة كريل قائلة إن هذا لن يحدث وإن الآنسة إليسا واهمة فيما تزعم، وعندئذ أقبل السيد كريل إلى الغرفة، فالتفتت إليه زوجته وقالت له: هل قررتَ أن تتزوج بإليسا حقاً يا أمياس؟

وعندئذ بدا الاهتمام بوضوح على وجه بوارو ثم قال للمفتش هيل: وبماذا أجاب كريل على هذا السؤال؟

- يبدو أنه استدار إلى الآنسة إليسا وهتف بها غاضباً: "بالله عليك! ماذا تقصدين من الإفضاء بهذا السر؟ ألا تعرفين كيف تمسكين لسانك بضعة أيام؟"، وعندئذ قالت السيدة كريل لزوجها: "إذن فقد اتفقتما على الزواج فعلاً، أليس كذلك؟"، فأشاح زوجها بوجهه وغمغم بكلمات غامضة، فعادت زوجته تقول له: "لماذا لا تجيب؟ أليس من حقي أن أعرف؟"، فهزّ كتفيه وقال لها: "بلى، هذه هي الحقيقة، ولكنني غير مستعدّ للمناقشة الآن". ثم غادر الغرفة مسرعاً في حين قالت الآنسة غرير للسيدة كريل إنها تريد منها مواجهة الحقيقة بشجاعة، وإنها شخصياً ترجو أن تظل (أي السيدة كريل) صديقة لزوجها بعد طلاقها منه.

فقال بوارو: وماذا قالت السيدة كريل عندئذ؟

- قال الشهود: لقد ضحكت وقالت: " لن تتزوجي بأمياس إلا بعد وفاتي"، ثم توجهت إلى باب الغرفة. لكن إليسا هتفت بها: "ماذا تعنين يا سيدة كريل؟"، فنظرت إليها السيدة كريل قائلة: "أعني أنني سأقتل أمياس قبل أن أتركه لك".

ثم توقف المفتش هيل عن الحديث فقال بوارو: يا له من اعتراف خطير! مَن سمع تلك العبارات؟

- كان في الغرفة مع الآنسة غرير والسيدة كريل السيد فيليب بليك والآنسة ويليامز المربية، ولا شك أن الموقف بالنسبة لهما كان بالغ الحرج.

- وهل اتفقَت شهادة كل منهما مع شهادة الآخر في هذا الموضوع؟

- نعم، بقدر ما يمكن أن يتفق شاهدان شاهدا أو سمعا شيئاً واحداً في وقت واحد، فكلّ منهما يصف ما رأى أو سمع بطريقته الخاصة.

ثم استطرد المفتش هيل في حديثه عن المأساة فقال: وأمرت بإجراء تفتيش دقيق في أنحاء القصر، فعثرنا في غرفة نوم السيد كريل على زجاجة موضوعة تحت كومة من الجوارب القديمة في أسفل درج خزانة الملابس، وكانت زجاجة فارغة من زجاجات عطر الياسمين، وعندما فحصنا آثار البصمات عليها لم نجد غير بصمات السيدة كريل، أما تحليل البقايا الموجودة بها فقد أثبت أن فيها آثاراً بسيطة لعطر الياسمين وآثاراً قوية لمحلول هيدروميد الكونين. وأخبرت السيدة كريل وأطلعتها

على الزجاجة، فردّت بأنها كانت في حالة معنوية سيئة وأنها قررت بعد سماعها محاضرة السيد ميرديث عن مفعول الكونين السام أن تأخذ كمية منه، فغافلَت الموجودين وتسللَت إلى معمله وأفرغت عطر الياسمين من قنينة في يدها وملأتها من عقار الكونين. وحين سألتها: "لماذا فعلت ذلك؟" قالت: أنا لا أريد أن أطيل الحديث في موضوع شخصي، ولكن يكفي القول إنني تلقيت صدمة قاسية عندما صارحني زوجي بأنه سيهجرني ليتزوج فتاة أخرى، فإذا صحّ هذا فلن أستطيع الحياة دونه، ولهذا أخذت الكونين.

فقال بوارو: هذه إجابة مقنعة إلى حد ما.

- أجل، ولكن هذا لا يتفق مع قولها للآنسة غرير بأنها تفضل أن تقتل كريل على أن تعطيه لها، ثم هناك المشادة الأخرى التي حدثَت في صباح يوم الوفاة، وقد سمع فيليب بليك طرفاً منها وكذلك سمعَت الآنسة غرير طرفاً آخر من نفس المشادة التي حدثَت في غرفة المكتبة بالقصر بين السيد والسيدة كريل، وكانت إليسا جالسة تحت نافذة المكتبة المفتوحة وسمعت الشيء الكثير من تلك المشادة.

- وماذا سمعت هي وفيليب بليك؟

- سمع فيليب السيدة كريل تقول لزوجها بغضب: هكذا أنت دائماً، لشد ما أتمنى أن أقتلك، حتماً سيأتي اليوم الذي أقتلك فيه.

- ألم يسمع شيئاً عن عزمها على الانتحار؟

- مطلقاً. أما إليسا غرير فقد سمعَت هذا الحوار بين

الزوجين. قال كريل: "كوني عاقلة رزينة يا كارولين، أنا أميل إليك وأحب لك الخير دائماً أنت والطفلة طبعاً، ولكنني سأتزوج إليسا وقد اتفقنا أن يكون كل منا حراً في تصرفاته"، فقالت كارولين: "حسناً، لا تزعم أنني لم أحذرك"، فقال كريل: "ماذا تعنين؟"، فقالت كارولين: "أعني أنني أحبك ولن أسمح لأحد أن ينتزعك مني. أنا أفضل أن أقتلك على أن أدع هذه الفتاة تظفر بك".

وصمت المفتش هيل، فقال بوارو: يبدو لي أن إليسا غرير كانت حمقاء في تحديها للسيدة كريل، وقد كان في وسع تلك الأخيرة أن ترفض الطلاق من زوجها كريل نهائياً.

فقال المفتش هيل: لدينا بعض الأدلة الخاصة عن هذا الموضوع، فإن السيدة كريل أفضت بآلامها كما يبدو للسيد ميرديث بليك، وهو صديق قديم للأسرة، ويبدو أنه شعر من أجلها بأشد الحزن واستطاع أن يتحدث مع كريل في الموضوع على انفراد. وأعتقد أن تلك المحادثة دارت في اليوم السابق على المأساة، وقد ذكر ميرديث لصديقه أنه سيكون حزيناً أشد الحزن لو حدث الطلاق بين السيد والسيدة كريل، وكذلك أشار إلى فارق السن بين إليسا التي لم تكن تجاوزت العشرين وبين كريل الذي بلغ الأربعين وأنه لا يليق إقحام فتاة صغيرة كهذه في قضية طلاق، فردّ كريل على ذلك بضحكة خفيفة تنم عن استهتاره التام بالعلاقات الزوجية، ثم قال: إن إليسا لن تظهر في المحكمة عند نظر قضية الطلاق، وقد اتفقنا على طريقة ننهي بها الموضوع بغير ضجة.

وعندئذ قال بوارو: ما دام الأمر كذلك فلماذا أفشت إليسا

السر وتحدت السيدة كريل في بيتها؟

- لا أحد يعرف حقيقة ما يدور بذهن المرأة. المهم أن الموقف كان شديد الحرج للجميع في القصر، ولا أدري كيف سمح كريل بقيام مثل هذا الموقف بين المرأتين! ويفسر السيد ميرديث بليك هذا بقوله إن كريل كان شديد الاهتمام بالصورة التي يرسمها للآنسة إليسا غرير.

فقال بوارو باسماً: لا شك أن الفراغ من رسم الفتاة كان أهم لديه من التعجيل بزواجها، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كان يريد أن يفرغ من رسم اللوحة قبل أن تضطرب الأحوال بين الفتاة وزوجته، أما الفتاة فلم تدرك هذه الحقيقة؛ فالحب عند المرأة يأتي في المقام الأول دائماً.

فقال المفتش هيل: كلنا يعرف هذه الحقيقة.

- ولكن الرجال يختلفون، لا سيما الفنانون منهم.

فقال المفتش باحتقار: الفن؟ ما هذا الحديث عن الفن؟ أنا لا أفهمه، وما أظن أنني سأفهمه يوماً. لنأخذ تلك الصورة التي رسمها كريل للفتاة مثلاً، إنها صورة غريبة عجيبة كأنما الفتاة كانت تشكو من ألم في أسنانها وهي جالسة أمامه، وكذلك السياج الحجري الذي كانت جالسة عليه قد بدا غريباً أيضاً. أنا حتى الآن، وبعد ستة عشر عاماً، لا زلت أذكر نفوري من تلك الصورة.

- بعضنا يرى الجمال في كل عجيب وغريب يا صديقي.

- أياً كان الأمر فقد كانت الآنسة إليسا غرير جميلة فاتنة

في تلك الأيام، ولعلها لا تزال محتفظة بجمالها حتى الآن. وبالمناسبة أذكر أنها تزوجت مرتين: الأولى برحالة مغامر لا أذكر اسمه، والثانية بزوجها الحالي اللورد ديتشام، وهي معروفة في الأوساط الراقية باسم الليدي ديتشام الآن.

- هذا حسن جداً. هل أفهم من هذا أن الشاهدَين الأساسيين اللذين كانا ضد السيدة كريل هما فيليب بليك والآنسة إليسا غرير؟

- نعم كانا ضد السيدة كريل على طول الخط، وقد شهدت المربية الآنسة ويليامز أيضاً. ورغم أنها كانت شديدة العطف على السيدة كريل فقد أساءت شهادتها إلى موقف المتهمة إلى حد كبير، ذلك لأنها سيدة صادقة لا تقول غير الحق.

- وميرديث بليك، ماذا عن موقفه؟

- لقد كان يعرب عن حزنه وألمه في شهادته، وأخذ يلوم نفسه على استخراج هذا المخدر السام في معمله، وقد لامه المحقق على ذلك أيضاً. وبالجملة كان نموذجاً للرجل المحافظ الذي يكره هذا اللون من المحاكمات المثيرة.

- وهل أدلَت الأخت الصغرى للسيدة كريل، أعني أنجيلا وارين، بأقوالها في المحكمة؟

- لا، لم يكن هناك ما يدعو إلى سماع أقوالها؛ ذلك لأنها لم تسمع أختها وهي تهدد زوجها بالموت كما أنه لم يكن لديها من الأقوال أكثر مما سمعناه من شهود الحادث، فقد رأت السيدة كريل وهي تأخذ الزجاجة من الثلاجة. وكان في مقدور الدفاع أن يركز جهده في تلك الناحية ويثبت أن السيدة كريل لم تعبث

بمحتويات الزجاجة، ولكن هذا الدفاع لم يكن ضرورياً لأن ممثل الاتهام لم يدّعِ أن السم كان في الزجاجة أصلاً.

– إذن كيف استطاعَت السيدة كريل أن تضع السم في كأس زوجها أمامه وأمام الآنسة إليسا والسيد ميرديث؟

– أولاً كان كريل منهمكاً في الرسم، وكانت إليسا غرير جالسة بعيداً بحيث كان ظهرها تقريباً إلى السيدة كريل، أما السيد ميرديث فكان في مكان بعيد عن الجميع.

– يبدو أن لديك الإجابة المقنعة عن كل سؤال.

– الأمر واضح يا سيد بوارو، فقد ثبت باعترافها وشهادة الشهود، أولاً: هددت زوجها بالموت. ثانياً: سرقت المادة السامة من معمل السيد ميرديث. ثالثاً: وُجدت القنينة الفارغة التي كانت تحتوي على المادة السامة في غرفة نومها وليس عليها غير بصمات أصابعها. رابعاً: هي التي حملت الزجاجة إلى زوجها وقدمت إليه الكأس، آخر كأس شربها زوجها قبل وفاته، والذي قال بامتعاض إن كل شيء يبدو في فمه مراً ذلك اليوم. والعجيب في هذا الأمر أنها تهتم بحمل الشراب المثلج إليه رغم الخصومة التي كانت بينهما.

– هذا في الواقع أمر يثير التساؤل والدهشة.

– أجل، لماذا أصبحت فجأة لطيفة معه مهتمة بأمره؟ لكي تحقق غرضها طبعاً. وقد رتبَت الأمر كي تكتشف الجثة بنفسها، ومن ثم أرسلَت الآنسة سيسيليا ويليامز لاستدعاء الطبيب وذلك كي تزيل عن الكأس والزجاجة آثار بصماتها وتضغط بأصابع القتيل على الزجاجة.

فردّ بوارو بدهشة: نعم.

- ولكن خدعتها انكشفت بسهولة، وقد جعلها ممثل الاتهام أضحوكة للجميع في المحكمة حين بيّن للقضاة أن وضع بصمات القتيل يدل بوضوح على أنه مفتعَل وأنه لا يمكن أن يكون قد أمسك الزجاجة في هذا الوضع إلا إذا كانت مقلوبة، وكانت هي ترجو أن توهمنا أن زوجها مات منتحراً بسبب وخز الضمير، ولكن ثبت للجميع من شهادة الشهود وظروف حياة القتيل أنه آخر من يفكر في الانتحار ولو مجرّد تفكير.

وعندما أومأ بوارو برأسه استطرد المفتش يقول: هل اقتنعتَ الآن يا سيد بوارو بأن هذه القضية كانت واضحة منذ اللحظة الأولى؟

- تقريباً، ولكن لا تزال هناك نقطة أو اثنتان في حاجة إلى مزيد من الإيضاح. ماذا كان يفعل المقيمون في القصر أو بقية الضيوف في ذلك الصباح؟

- لقد تحرّينا عن تصرفات كل واحد منهم، ولكنني أبادر فأقول إنه في حالة وقوع جريمة قتل بالسم لا يمكن أن يكون أيّ إنسان قريب من مسرح الجريمة فوق الشبهات تماماً. ولم يكن هناك ما يدعو ميرديث إلى قتل كريل فقد كانت العلاقة بينهما أطيب ما تكون مودة وتقديراً متبادلاً، وكذلك الآنسة إليسا فقد كان الحب يربط بينها وبين كريل فليس هناك ما يدعو لقتله، وأيضاً ليس هناك أيّ باعث لأن يقتل فيليب بليك أعز أصدقائه، وأعني به كريل. ولكننا لا ننكر أن الآنسة وليامز لم تكن على علاقة طيبة بكريل، فقد كانت تعرب دائماً عن نفورها من سلوكه

مع النساء واستهتاره المشين بالعلاقات الزوجية، ولكن نفورها هذا ما كان ليصل إلى حد ارتكابها جريمة قتله بالسم.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: وكذلك كانت الآنسة أنجيلا وارين دائمة الشجار مع زوج أختها، ولكنها كانت صبية صغيرة على وشك الالتحاق بمدرسة داخلية، وكانت رغم شجارها الدائم مع كريل تميل إليه وكان يبادلها هذا الميل. والمعروف أن تلك الفتاة كانت تعامَل في القصر معاملة خاصة زاخرة بالحب والعطف والتدليل، وذلك لأنها أُصيبت على يد أختها السيدة كريل وهي طفلة صغيرة بإصابة شوهت جانباً من وجهها وأفقدت إحدى عينيها البصر، ولهذا كانت السيدة كريل تحاول أن تعوضها عما أصابها بالإسراف في الحب والتدليل وتلبية كل رغباتها.

- ولكن هذا لا يمنع من استمرار الفتاة في الشعور بالحقد على أختها كارولين التي كانت السبب في تشويه وجهها.

- ربما، ولكن هل يمكن أن يدفعها هذا الحقد (إن كان موجوداً) إلى قتل أمياس كريل؟ هذا احتمال بعيد جداً، ومهما يكن الأمر فإن السيدة كريل قد تولت بنفسها رعاية أختها غير الشقيقة هذه بعد وفاة والديها وأصبغت عليها من الحب والعطف الشيء الكثير، وقد شهد الجميع أن أنجيلا كانت تحب أختها حباً شديداً، ولهذا أصرّت السيدة كريل على أن تظل الفتاة بعيدة عن إجراءات المحاكمة وآلامها. ولكن أنجيلا كانت في أشد القلق والحزن فألحت على رؤية أختها بعد صدور الحكم، ولكن السيدة كريل رفضت بشدة أن تقابلها قائلة إن منظرها وهي بملابس السجن سوف يترك في نفس الفتاة الصغيرة أثراً

عميقاً قد يحطم حياتها، ومن ثم أرسلت بها إلى مدرسة داخلية خارج البلاد.

ثم أردف المفتش هيل بعد فترة صمت وجيزة قائلاً: لقد أصبحت الآنسة وارين الآن، أي بعد ستة عشر عاماً، شخصية مشهورة بعد أن قامت برحلات كثيرة إلى مناطق الآثار وبعد أن ألقت المحاضرات في الجمعية الجغرافية الملكية، وقد جعلت لنفسها اسماً لامعاً في الكتابة للصحف والمجلات.

- ولم يعُد أحد يذكر المحاكمة، أليس كذلك؟

- ولماذا يذكرونها؟ الآنسة وارين لا تحمل اسم والد كارولين، فقد كانتا أختين غير شقيقتين من أم واحدة وأبوين مختلفَين، واسم والد كارولين هو وارين سبالدنغ.

- وأين كانت ابنة كريل من زوجته كارولين عند وقوع المأساة؟

- كانت مع مربيتها الخاصة في زيارة لجدتها الليدي تريسليان، وكانت سيدة أرملة فقدت ابنتها وأصبحت شديدة التعلق بحفيدتها الصغيرة.

ولما أومأ بوارو برأسه تابع المفتش هيل يقول: أما عن تصرفات الحاضرين في القصر يوم المأساة فيمكنني أن أقدم لك تقريراً كاملاً دقيقاً، فالآنسة إليسا غرير جلست بعد الإفطار في الشرفة الواسعة تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة، وهناك كما سبق القول سمعت المشاجرة التي وقعت بين كريل وزوجته، وبعد ذلك صحبت كريل إلى حديقة البحر حيث جلست قبالته على السور الحجري للرسم، وظل كريل يرسم الصورة حتى

وقت الغداء دون أن يستريح إلا مرتين فقط للتخفيف عن عضلاته. أما فيليب بليك فبقي بعد الإفطار في القصر، وقد سمع أيضاً طرفاً من المشاجرة التي وقعت بين الزوجين، وبعد انصراف كريل وإليسا غرير إلى حديقة البحر جلس في الشرفة يطالع صحيفة الصباح إلى أن اتصل به أخوه ميرديث هاتفياً وأبلغه نبأ اختفاء كمية من سم الكونين، ومن ثم ذهب ليقابل أخاه عند شاطئ البحر، ثم سار معه في الممر الصاعد المتعرج في طريقهما للعودة إلى القصر، وقد مرا في طريقهما بجانب سور حديقة البحر.

وصمت برهة ليلتقط أنفاسه قبل أن يستطرد: وكانت الآنسة إليسا غرير قد تركت مكانها وذهبت إلى القصر لتحضر سترة من الصوف تضعها على كتفيها في أثناء جلوسها أمام الرسام، وقد سمع الأخوان وهما يمران بجوار سور الحديقة حديثاً يجري بين كريل وزوجته، وكان يبدو من طبيعة الحديث أنهما يتناقشان في موضوع ترحيل أنجيلا وارين إلى المدرسة.

وعندئذ قاطعه بوارو قائلاً: آه، إذن كانت محادثة هادئة، أليس كذلك؟

- لم تكن هادئة بأية حال، فقد كان كريل يصيح في حديثه ويبدو أن كان غاضباً لأن زوجته قطعت عليه عمله في اللوحة بشؤونها المنزلية الخاصة.

وهز بوارو رأسه في حين تابع المفتش هيل قائلاً: وقد تبادل الأخوان الحديث برهة وجيزة مع كريل، ثم حضرت الآنسة إليسا غرير بالسترة الصوفية وجلست للرسم، وعندئذ تناول كريل

فرشاته واستأنف عمله مقطب الجبين، فأدرك الأخوان أنه ليس لهما مكان في حديقة البحر فغادراها إلى المنزل. وبهذه المناسبة أذكر أن كريل شكا من سخونة الشراب في أثناء وجود الأخوين والسيد كريل فوعدته السيدة كريل بأن تأتي إليه بزجاجة مثلجة من الثلاجة الموجودة بالقصر.

- أهكذا؟

- نعم، هكذا، فقد كانت حتى آخر لحظة تعامله بنعومة الأفعى. هذا هو رأيي الخاص، وعلى كل حال فقد جلس الأخوان في شرفة القصر حيث أحضرَت لهما أنجيلا وارين زجاجات مثلجة مع الأقداح، وبعد أن شربا كفايتهما ذهبَت أنجيلا وفيليب بليك للسباحة وذهب ميرديث إلى مكان مكشوف يطلّ على حديقة البحر فجلس فيه، وكان يستطيع من مكانه هذا أن يرى إليسا غرير وهي جالسة على السور الحجري وأن يسمع حديثها مع كريل، وقد ظل جالساً في موضعه ذاك يفكر في كمية الكونين المسروقة من معمله وكان شديد القلق لهذا السبب ولا يدري ماذا ينبغي أن يفعل، ورأته إليسا من مكانها فلوحت له بيدها، وهو يذكر بهذه المناسبة أنه رأى كريل في حالة غريبة، ولكنه لم يهتم بالأمر لأنه كان يعرف أن كريل من النوع الذي يكره الاعتراف بأيّ مرض، كما كان يعرف أنه متقلب المزاج.

وأومأ بوارو برأسه فقال مستطرداً: أما عن باقي الحاضرين فقد كان الخدم مشغولين طول فترة الصباح بأعمالهم داخل القصر، وكانت الآنسة ويليامز قد قضت فترة طويلة من الصباح في غرفة الجلوس، وقضت أنجيلا وارين معظم فترة الصباح متجولة في الحديقة الفسيحة أو متسلقة للأشجار أو أيّ شيء من

هذا القبيل، وعندما عادت لم تلبث أن صحبت فيليب للسباحة في البحر.

وتوقف المفتش هيل أخيراً عن الحديث ثم قال فجأة: والآن، هل تجد في تصرفات أحد من الموجودين في القصر ما يثير الاشتباه أو الشك؟

- لا، مطلقاً.

- حسناً، ألديك أيّ شك في إدانة السيدة كريل الآن؟

- أنا لا أدري على وجه التحديد، ولكنني سأحاول أن أزداد اقتناعاً.

- ماذا تنوي عمله؟

- سأزور الأشخاص الخمسة الذين كانوا حاضرين مع السيد والسيدة كريل يوم المأساة، وسأحاول أن أظفر بأقوال كل منهم على حدة بشأن تلك الجريمة.

- وهل تظن أن أقوالهم سيتفق بعضها مع البعض بعد كل هذه السنوات؟ فمن الحقيقة البديهية أن تختلف أقوال شهود الحادث الواحد باختلاف أمزجتهم وطباعهم.

- ولكن الحقائق الأساسية تظل ثابتة في أقوالهم المختلفة.

- أخشى أن تحصل في النهاية على خمسة تقارير لخمس جرائم.

- هذا هو ما سأعتمد عليه في الوصول إلى النتيجة، فإن

اصطدام هذه الأقوال هو الذي سيطلق الشرارة التي تضيء السبيل أمامي.

وقبل أن ينصرف بوارو قال المفتش كأنما تذكر شيئاً: بالمناسبة، نسيت أن أخبرك أننا عرفنا أيضاً الوسيلة.

- وما هي؟

- قلم حبر، قطّارة تستخدم في ملء قلم حبر، وقد عثرنا عليها في الممر المتعرج محطمة بعد أن داستها عشرات الأقدام.

* * *

الفصل الثالث

بدأ بوارو تحرياته بزيارة فيليب بليك، وكان فيليب قد أصبح في خلال السنوات الست عشرة رجل أعمال ناجحاً وسمساراً كبيراً في بورصة الأوراق المالية، وكان في مظهره قصير القامة يميل إلى البدانة مكتنز الوجه ماكر النظرات.

وقد حرص بوارو على أن يخفي عنه الغرض من زيارته، فقد ذكر له أنه مندوب من شركة كبيرة للنشر وقد جاء لجمع الحقائق الخاصة عن الجرائم الكبرى التي هزت الرأي العام خلال العشرين سنة الماضية وذلك لنشرها في مجلد خاص، فقطب فيليب جبينه بدهشة وقال: يا إلهي، لماذا يعمد الناشرون إلى نبش الماضي وإعادته إلى أذهان الناس؟

فهز بوارو كتفيه قائلاً: تلك هي طبيعة القراء، فهم يحبون هذه الألوان من القراءات المثيرة.

- أنا شخصياً لا أجد أيّ مانع في الحديث عن ذكريات الماضي، فماذا تريد أن تعرف؟

- أرجو أن تحدثني بكل ما تعرف عن مأساة الرسام أمياس كريل، فكلنا نعلم أنه كان من أعز أصدقائك.

فصمت فيليب برهة ثم قال: لقد أصبحت تلك المأساة ملكاً للرأي العام منذ وقوعها، وأظن أن أحداثها والظروف المحيطة بها معروفة للجميع، ولا سيما في سجلات الشرطة.

- ولكنني أرجو أن أعرف رأيك الخاص في تلك المأساة وتأثيرها في نفسك.

- آه! أتتحدث عن تأثيرها في نفسي؟ لقد كان تأثيرها قاسياً رهيباً، فيكفي أن تعلم أنه كان في استطاعتي أن أخلّص صديقي كريل من الموت لو أنني تصرفت بسرعة وحكمة عندما أخبرني أخي ميرديث باختفاء كمية من سم الكونين من معمله.

- هل كان هذا في مقدورك حقاً أم أنك تبالغ في الشعور بوخز الضمير؟

- اسمع، أنا أعلم أنك تعرف الحقائق الأساسية عن تلك المأساة بعد أن قرأتَ ما كتب عنها في حينها.

فلما أومأ بوارو برأسه أردف فيليب بليك قائلاً: حسناً، عندما أخبرني أخي ميرديث باختفاء كمية من سم الكونين من معمله كان في حالة نفسية بالغة السوء، ومع ذلك فلم أتصرف بالسرعة الواجبة وأرجأت مناقشة هذا الأمر إلى ما بعد الظهر. ولكن المأساة وقعت بعد تناول الطعام مباشرة، أعني أننا اكتشفنا وقوعها بعد أن فرغنا من طعام الغداء، فلو أنني أحسنت التفكير والتصرف لأدركت بسرعة أن كارولين هي السارقة لكمية سم الكونين. كما أهملت تحذير إليسا وكريل، نعم، كان ينبغي أن أذهب إليهما من فوري وأخبرهما أن كارولين تريد بهما شراً ليكونا على حذر.

ثم نهض بليك وراح يذرع الغرفة جَيئة وذهاباً في انفعال ثم تابع قائلاً: أتظن يا رجل أنني لم أتعذب أشد العذاب كلما فكرت في سوء تصرفي؟ لقد كنت أعلم، أو كان ينبغي أن أعلم بداهة، أن كارولين هي التي اختلست كمية السم. وكانت الفرصة سانحة أمامي لتخليص صديقي من الموت ولكنني أهملت وتهاونت. لماذا لم أدرك منذ اللحظة الأولى أن كارولين في ثورة غضبها وانفعالها بسبب معاملة زوجها لها سوف تنتهز أول فرصة للقضاء عليه بعد أن حصلت على السم؟ لماذا تهاونتُ؟ كان في وسعي أن أذهب إلى أمياس لأحذره، وكان في وسعي أن أذهب إليها هي، إلى كارولين، وأن أقول لها: أنا أعلم ما تنوين أن تفعلي وأعلم أنك اختلست كمية من السم من معمل أخي، فإذا مات أمياس مسمماً بالكونين فتأكدي بأنك ستموتين على حبل المشنقة.

ثم نظر إلى بوارو واستطرد قائلاً: أجل. إن كلمات كهذه كانت كفيلة بوقفها عند حدها، وكذلك كان في استطاعتي أن أتصل برجال الشرطة. نعم، كان أمامي وسائل كثيرة لتخليص صديقي، ولكنني بدلاً من اتخاذها تركت ميرديث يؤثر في نفسي بحديثه الهادئ وطريقته البطيئة، فقد قال: "يجب أولاً يا فيليب أن نعرف ونتأكد من الذي اختلس الكونين قبل أن نرمي التهم جزافاً". نعم، هكذا هو ميرديث بطيء التفكير بطيء الحركة متردد دائماً. حمداً لله على أنه هو الأخ الأكبر الذي ورث الضيعة والقصر وإلا لمات جوعاً، فهو آخر من يصلح للنجاة في الحياة.

فقال بوارو بهدوء: إذن لم يكن لديك أدنى شك في سارقة

السم، أليس كذلك؟

- بلى، لم يكن لدي أدنى شك، فقد عرفت أنها كارولين على الفور. نعم؛ فأنا أكثر الناس معرفة بحقيقة أمرها.

- عذراً؛ سأسأل سؤالاً بدافع الفضول يا سيد بليك: أيّ نوع من النساء كانت هي؟

- هل تريد حقاً أن تعرف كل شيء عنها؟

- نعم.

- كانت كارولين امرأة سوء، لم أرَ في حياتي امرأة أسوأ منها. نعم، لا أنكر أنها كانت موفورة الجاذبية والجمال وأنها كانت تتمتع بهذه الرقة التي تخدع الناس عن حقيقة أمرها. نعم، كانت لها تلك النظرة الناعمة المستسلمة الوادعة التي تثير في قلب الرجل عوامل النخوة والشهامة والفروسية. لقد قرأت في كتب التاريخ عن الملكة ماري أنها كانت جذابة جميلة ولكنها في الواقع ذكية مدبرة ماكرة عرفَت كيف تضع الخطة للقضاء على الأمير دارنلي دون أن تثير حولها الشبهات، وهكذا كانت كارولين جذابة جميلة تبدو وادعة، ولكن لها نفسية القاتل وطباع الوحش في الواقع.

وصمت فيليب برهة قبل أن يستطرد قائلاً: أنا لا أدري هل علمتَ بهذه الحقيقة أم لا، فهي لم تكن ذات أهمية كبيرة في أثناء المحاكمة، ولكنها في رأيي ذات دلالة أكيدة على حقيقة تلك المرأة، وأعني تلك الحقيقة ما فعلته بأختها الصغرى أنجيلا وارين، تلك هي الغيرة العمياء. لقد تزوجَت أم كارولين مرة أخرى وأنجبت من زوجها الجديد أنجيلا، وكان طبيعياً أن

تركز الأم معظم عواطفها وحنانها على الطفلة الصغيرة، ولكن كارولين لم تحتمل هذا وملأت الغيرة قلبها من أختها الطفلة، فحاولت أن تقتلها بقضيب من الحديد حيث ضربتها على رأسها، ولكن الضربة لم تقتل الطفلة بل شوهت جانب وجهها وأفقدت إحدى عينيها البصر، فهل هناك أبشع من ذلك؟

- لا، مطلقاً.

- قد يبدو لك أنها امرأة متهورة مندفعة بسبب هذا الحادث مع أختها، ولكنها في الواقع شديدة المكر قادرة على التدبير والتآمر. فبعد وفاة والديها جاءت للإقامة وهي فتاة في سن الزواج في قصر ألدربري مع آل كريل الذين يمتّون إليها بصلات من القرابة البعيدة، وفي أثناء تلك الفترة التي أمضتها معهم قبل الزواج راحت تنظر إلينا جميعاً، نحن شباب المنطقة، ولم تفكر هي في مجرّد الزواج بي لأنني كنت يومذاك فقيراً بعد أن آلت الثروة إلى أخي ميرديث، وكانت هي فقيرة أيضاً، ومن ثم رأت أنه من المستحيل عليها أن تجمع بين فقري وفقرها.

وابتسم ابتسامة الظفر ثم استطرد قائلاً: ومن العجيب، أو الطريف، أنني الآن أوسع جميع أصحابي وأقاربي ثراء. حسناً، وفكرَت في الزواج بميرديث، ولكنها لم تلبث أن ألقت بشباكها على أمياس كريل، فقد كان من المعروف أن أمياس هو الوريث الوحيد لقصر ألدربري والضيعة المحيطة به، وقد أدركَت بذكائها أنه فنان موهوب وأن المال سيجري بين يديه أنهاراً بعد أن يعلم الناس حقيقة موهبته كرسام نابغ، وقد صدق حدسها وذاعت شهرة أمياس وجرى المال بين يديه وأصبح من أكبر الرسامين في عصره. هل رأيت لوحاته؟ لديّ واحدة منها.

تعال وانظر إليها.

ثم تقدمه إلى قاعة مجاورة حيث أشار إلى لوحة كبيرة معلقة على الجدار الأيسر وقال: هذه بريشة أمياس.

فنظر بوارو بصمت ودهشة. لقد كانت اللوحة تصور وعاء زهور فوق منضدة من خشب الجوز اللامع، وكانت الزهور تبدو متوهجة بالحياة والنضارة والخشب المصقول اللامع يكاد يهتز كلما أمعن الإنسان النظر إليه.

فتنهد بوارو وقال: أجل، إن لمسة العبقرية واضحة في هذه اللوحة.

وعاد فيليب بضيفه إلى الشرفة ثم غمغم قائلاً: أنا لا أفهم شيئاً عن الفن، ولكنني أشعر أن رسوم كريل تمتاز بشيء غامض مثير تجعل من يراها مرة لا يمكن أن ينساها أبداً.

ثم أردف بليك قائلاً بعد قليل: هذا هو العبقري الفنان الذي قتلَته امرأته وهو في أوج الحياة والمجد والشهرة. لعلك تعتقد أنني متحامل على كارولين، فقد كانت الشر بعينه وكانت تجمع بين القسوة والطمع والميل الغريزي إلى الشر.

فقال بوارو: ولكنني سمعت أنها تحملت الشيء الكثير من نزوات زوجها واستهتاره الدائم بالعلاقات الزوجية يا سيد فيليب.

فردّ عليه بليك: أجل، فقد كانت حريصة جداً على أن تجعل كل الناس يعتقدون أنها الضحية البريئة لخيانات كريل، ولكن الحقيقة هي أن حياة كريل الزوجية كانت سلسلة متصلة

من المشاجرات والخصومات والمنازعات، وكان المسكين يفر من هذا الجحيم إلى فنه، فقد كان يعيش فيه ومن أجله. وكان ذلك كله يثقل على كريل، فقد كان كفنان يحب الهدوء والحياة الرياضية، وأعتقد أنه أخطأ بالزواج فقد كان ينبغي لرجل مثله أن يعيش حراً من القيود الزوجية.

فسأله بوارو: هل كنتَ تعرف علاقته بالآنسة إليسا غرير؟

فردّ بليك: نعم، فقد أخبرني ذات يوم أنه عرف فتاة مدهشة تختلف عن كل اللائي عرفهن من قبل، وقد سخرت في نفسي من حديثه هذا لأنه كان يقول عن كل فتاة أو امرأة يتعرف عليها أنها مدهشة وتختلف عن الجميع ثم لا يلبث أن يضيق بها ويهرب منها. ولكنني حين رأيت إليسا غرير في قصر ألدربري أدركت أن الأمر كان خطيراً في تلك المرة، فقد كان من الواضح للجميع أن المسكين غارق في حبها إلى أذنيه... لقد استطاعت تلك اللعينة أن تأسره.

فقال بوارو: كأنك لم تكن راضياً عن إليسا أيضاً؟

- فعلاً، لم أشعر بأيّ ميل نحوها، فقد كانت هي أيضاً تريد أن تستحوذ عليه. ولكنني مع ذلك كنت أعتقد أنها ستكون كزوجة أفضل من كارولين، غير أنني في الواقع كنت أفضل لو أن كريل عاش بعيداً عن شباك النساء.

- ولكن يبدو أنه كان مفتوناً بهن.

فأجاب بليك: أجل، فقد كان الأحمق لا يكاد ينجو من مغامرة عاطفية حتى يقع في أخرى، ولكن يبدو أن المرأتين اللتين كان لهما أكبر الأثر في حياته هما كارولين وإليسا غرير.

فسأل بوارو: وهل كان محباً لأخت زوجته، أنجيلا؟

- أعتقد ذلك، فقد كانت الفتاة لطيفة مرحة دائماً، ولكنها أحياناً كانت تتمادى معه فيقسو عليها، وعندئذ تتدخل كارولين وتقف في صف أختها ضده. وكان ذلك الموقف من كارولين يزيد من غضبه على أنجيلا، بل ومن غيرته أيضاً، فقد كان يعتقد أن زوجته تفضّل أختها عليه وتوليها من الحب أكثر مما توليه. وفي الوقت نفسه كانت أنجيلا تغار من أمياس وتحاول أن تظفر دونه بقلب أختها، فقرر هو أن تذهب إلى مدرسة داخلية في ذلك الخريف وأصر على تنفيذ قراره، فثارت هي بشدة على هذا القرار، لا لأنها تكره الذهاب إلى المدرسة بل للطريقة الاستبدادية التي اتخذ بها أمياس هذا القرار. والواقع أنه من هذه الناحية كان على حق، فقد تعودت أنجيلا كلما غضبت منه أن تتمادى في مضايقته، فذات مرة وضعَت في سريره عشر خنافس! نعم، وكان الأوان قد آن لإلحاقها بإحدى المدارس الثانوية فعلاً.

فسأل بوارو: وهل كان يحب ابنته الطفلة كارلا؟

رد بليك: لقد كان يحبها ويدللها ويستمتع باللعب معها كلما شعر بالضيق أو الاكتئاب، ولكن عاطفته نحوها ما كانت لتمنعه من الزواج بإليسا إذا كان هذا هو قصدك من السؤال، فهو في رأيي لم يكن يحب ابنته هذا الحب الذي يجعله يضحي بسعادته الخاصة من أجلها.

- وهل كانت كارولين متفانية في حب ابنتها كارلا؟

قال بليك: لا أستطيع أن أقول إنها لم تكن أماً مثالية. أجل،

لا أستطيع أن أدّعي هذا، ولعل أشد ما آلمني في تلك المأساة هو موقف تلك الابنة المسكينة التي فقدت أمها وأباها في وقت واحد، وفي مثل هذه الظروف أرسلوا بها إلى ابنة عم أبيها في كندا، وأرجو أن يكونوا هناك قد أخفوا عنها تلك المأساة.

– حسناً يا سيد بليك، سألتمس منك شيئاً أرجو أن تحققه. أرجو أن تكتب لي كل ما تعرفه أو تذكره عن تفصيلات تلك المأساة.

فقال بليك: ولكنني لا أستطيع أن أتذكر التفصيلات بدقة بعد كل هذه السنوات يا سيد بوارو.

– أعتقد أنك حين تبدأ في الكتابة ستجد نفسك قد تذكرتَ كل شيء تقريباً.

قال بليك: عجباً!

فردّ بوارو: تلك هي إحدى عجائب الذاكرة، فأنت حين تثيرها تفتح لك أبواب خزائنها وتطلق من الذكريات ما سوف تدهش له.

– ولكنني رجل كثير المشاغل.

– أنا مستعد أن أدفع الأجر المطلوب.

– سأكتب جميع ذكرياتي عن المأساة دون مقابل يا سيد بوارو، بشرط ألاّ تنشر شيئاً من أقوالي بغير إذن مني.

– أتعهد لك بهذا، وأقدم لك جزيل الشكر.

* * *

الفصل الرابع

حرص هيركيول بوارو على أن يتزود بخطاب توصية من صديقته الليدي ماري ليتون إلى السيد ميرديث بليك عندما ذهب لزيارته في ضيعته هاند كروس. وقد استقبله ميرديث في أول الأمر بشيء من الارتباك والاضطراب، ولكنه ما كاد يطّلع على خطاب الليدي ماري حتى استرد رباطة جأشه، ثم راح يتبادل مع بوارو الحديث عن الليدي ماري وعن الصيد والقنص في الريف وعن هواية سباق الأرانب والكلاب... وقد بدا ميرديث بقامته الطويلة وحركته البطيئة وتحفظه في الحديث كأنه نموذج لأعيان الأقاليم المحافظين.

وعندما حدثه بوارو عن رغبة دار النشر في الحصول على بعض المعلومات الخاصة من الأشخاص الأحياء الذين شهدوا مأساة الرسام أمياس كريل قال ميرديث بعنف وهو يحشو غليونه: أليس من الوحشية الآدمية نبش مثل هذه المآسي التي عفا عليها الزمن؟

فهز بوارو كتفيه وقال: أنا أتفق معك في هذا، ولكنها رغبة القراء الذين يحبون هذا اللون من الأحداث الحقيقية الواقعية.

- أنا مُصرّ على أن هذا أمر شائن.

فقال بوارو بصوت رقيق: أجل، ولكننا في هذا الكتاب سنحاول أن نبين للقراء الظروف التي أحاطت بالحادث وأدّت إليه بقدر الإمكان. إن كارلا كريل شديدة الاهتمام بهذا الأمر وتعتقد أن مثل هذا الكتاب قد يخفف شعور الرأي العام نحو أمها.

- آه، كارلا، كارلا الصغيرة، لا شك أنها قد أصبحت شابة الآن.

- أجل، فالسنين تمر بسرعة غريبة أحياناً.

فتنهد ميرديث وقال: بأسرع مما يظن الإنسان.

- وأهم من هذا كله أن كارلا تريد أيضاً أن تعرف حقيقة المأساة من أقوال الذين عاصروها، وذلك لأنها غير مطمئنة إلى تحريات الشرطة وأقوال بعض الشهود. تريد أن تعرف كل شيء عن أمها وأبيها من أولئك الذين كانوا أقرب الناس إليهما عند وقوع المأساة.

- أجل، أجل، لا شك أن هذه المسكينة قد فُجعت حين علمت بمأساة أبويها، ولا شك أن فجيعتها تضاعفت حين اطلعت على تفصيلات المأساة من سجلات الشرطة الجافة الخالية من أية عاطفة.

- هذا ما تريده كارلا تماماً وما نريده نحن، العواطف والمشاعر والانفعالات والتأثيرات التي كانت تتفاعل في جو المأساة قبيل وقوعها.

وصمت بوارو فجأة، ثم بدأ ميرديث يتحدث باهتمام وقد

أخذت الذكريات تتزاحم على ذهنه: لقد كان أمياس صديقاً لنا منذ الطفولة وكانت أسرته ترتبط بقرابة الجوار والصداقة مع أسرتي منذ أجيال عديدة، ولكن لا يسع الإنسان إلا أن يعترف بأن تصرفاته كانت مخجلة مثيرة، ولعل هذا يرجع إلى مزاجه الفني حيث يقال إن للفنانين أهواء ونزعات خاصة غير طبيعية، ولكن لكل شيء حدوداً، وما أظن أن هناك إنساناً يحترم نفسه يرضى أن يأتي بعشيقته إلى بيت الزوجية ليواجه بها زوجته، بل ويتحداها هكذا علناً أمام الأصدقاء والجيران.

- يسرني أن أسمع منك هذا يا سيد بليك، فالواقع أنه لا يوجد إنسان كريم مهذب يقبل مثل هذا الوضع أو يختلق مثل هذا الموقف بين الزوجة والعشيقة.

وتردد ميرديث برهة، ثم إذا بوجهه يشرق بابتسامة عريضة وهو يقول: أجل، أجل، ولكن المهم في الموضوع هو أن أمياس لم يكن إنساناً عادياً أو طبيعياً بل كان رساماً فناناً وكان فنه يحتل من حياته ومشاعره المقام الأول، فقد كان في أثناء استغراقه في رسم لوحة جديدة كرجل يعيش في حلم أو في عالَم آخر ليس له صلة بعالمنا هذا، حتى إذا فرغ منها أو كاد بدأ يلتقط الحياة العادية مرة أخرى.

ثم نظر ميرديث في تساؤل إلى بوارو الذي هز رأسه موافقاً، وعندئذ استطرد يقول: أرى أنك تدرك ما أعني. حسناً، لعل هذا يفسر شذوذ بعض تصرفاته، ولا سيما ذلك التصرف الذي جعله يجمع بين حبيبته وزوجته في مكان واحد. لقد كان يحب إليسا غرير حقاً وكان على استعداد لأن يطلّق زوجته ويحرم نفسه من ابنته ليتزوج بها، ولكنه كان قد بدأ يرسمها هنا وهي جالسة

على سور حديقة البحر، وقد أراد أن يفرغ من رسم تلك اللوحة ومن ثَم لم يكن يهمه شيء، وإن جاز القول إنه لم يكن شاعراً تماماً بالموقف الحرج الناشئ عن وجود الحبيبة والزوجة تحت سقف بيت واحد، وأعتقد أن هذا هو العذر الوحيد الذي يمكن أن يلتمسه الإنسان لمثل هذا التصرف الشائن.

- وهل كانت كل منهما تدرك حقيقة شعوره من هذه الناحية؟

- أعتقد أن إليسا كانت مدركة هذه الحقيقة، والواقع أنها كانت شديدة الإعجاب به كفنان فضلاً عن حبها العميق له كرجل، ولعل هذا الإعجاب وهذا الحب كانا من الأسباب التي جعلتها تحتمل حرج الموقف بشجاعة، بل بجرأة تبلغ حد التهور.

- وماذا عن كارولين؟

- كارولين؟ آه، لقد كنت أشعر بالميل إليها دائماً، وقد داعبني الأمل يوماً بالزواج بها ولكن سرعان ما تلاشى هذا الأمل، ومع ذلك فقد بقيت -إذا جاز لي أن أقول هذا- محباً لها واضعاً نفسي في خدمتها.

فأومأ بوارو برأسه في فهم وإدراك. لقد كان يعلم أن مثل هذا الرجل المحافظ إذا أحب فإنه يحب بشرف ويتفانى فيمن يحب إلى حد التضحية دون انتظار لشكر أو جزاء، وقال وهو يزن كلماته بعناية: إذن لا شك أنك لم تكن راضياً عن تصرفات كريل معها؟

- أجل، وقد تحدثت معه بشأن تلك الفتاة إليسا غرير.

- متى؟

- في اليوم السابق على المأساة عندما حضروا هنا جميعاً لشرب الشاي، ومن ثم انفردت بكريل وقلت له إنه بهذا التصرف يسيء إلى كل من كارولين وإليسا، وإنه إذا كان ينوي الزواج بالفتاة فليس هناك ما يدعوه إلى إحراج كارولين وتحديها هكذا علناً، فليست هناك زوجة تستطيع أن تحتمل مثل هذا الموقف.

- وماذا كانت إجابته؟

- قال إن على كارولين أن تحتمل رغماً عنها. أجل، ولهذا لم أستطع أن أتمالك زمام أعصابي فعنفته بشدة قائلاً إن الواجب عليه أن يجنب زوجته هذا الهوان حتى ولو كان لا يحبها، وإنه لو كان يحب إليسا حقاً لما عرّضها لمثل هذا الموقف المحرج. فأجاب قائلاً: "على إليسا أن تحتمل هذا الموقف رغماً عنها أيضاً"، ثم استطرد في حديثه معي فقال إن هذه اللوحة التي يعمل بها هي خير إنتاجه الفني كله وإنه لا يسمح لأية امرأة في الدنيا أن تحول بينه وبين إتمامها، فقلت له: "إن الرسم ليس كل شيء في الدنيا"، فقاطعني قائلاً إنه بالنسبة إليه يعتبر كل شيء، فذكرت له أن كارولين تتعذب كثيراً بسبب نزواته وشذوذ تصرفاته وعلاقاته بالنساء وأن هذا لا يليق برجل يحترم نفسه.

ثم فتحَت ذاكرته أبواب الذكريات على مصراعيها فراح يقول: كان ينبغي أن أرتاب في الأمر، فقد كانت كارولين هي التي وجهت الحديث إليّ عن هوايتها في استخراج العقاقير من النباتات الطبية، وكانت النتيجة أنني تحدثت إلى الضيوف عن

هذه الهواية وعن بعض الخرافات الخاصة التي تحتم على الهاوي أن يلتقط بعض الأعشاب الطبية في ضوء القمر، ثم تحولت في حديثي إلى نبات الهملرك الذي يُستخرج منه مخدر الكونين السام.

- هل كان حديثك هذا في غرفة المعمل؟

- نعم، كنت أتحدث وأشرح حديثي بالإشارة إلى مختلف العقاقير والمركّبات، وأذكر أنني حدثتهم عن عقار الفاليريان الذي تجذب رائحته القطط كما تحدثت إليهم عن طريقة استخراج البلادونا والأتروبين، وقد بدا الاهتمام على وجوههم جميعاً في أثناء حديثي.

- جميعاً؟

- نعم جميعاً، فيليب وأمياس وكارولين وأنجيلا وإليسا.

- ألم يكن هناك أحد آخر كالمربية الآنسة ويليامز مثلاً؟

- لم تكن الآنسة ويليامز معنا، فهي مربية تعرف كيف تؤدي واجباتها، وأعتقد أن أنجيلا كانت تثير قلقها كثيراً.

- لماذا؟

- لأنها كانت مشغولة بالعبث وتدبير المقالب والتمادي في المداعبات الثقيلة، فقد وضعت ذات يوم خنفساء في قفا أمياس وهو منهمك في رسم لوحة هامة، وأذكر أنه ثار وارتعد وقرر أن يُلحِقها بالمدرسة.

- يُلحِقها بالمدرسة؟

- لا لأنه كان يكرهها بل لأنها كانت تميل إلى الشغب والإثارة، وأعتقد أنه كان يغار منها أيضاً ومن مكانتها الرفيعة في قلب زوجته كارولين، وكانت كارولين شديدة الحب والعطف على أختها لأن...

فقاطعه بوارو قائلاً: لأنها كانت السبب في تشويه جانب من وجه الفتاة فأرادت أن تعوضها بالحب والحنان.

- آه، أتعرف هذا؟ حسناً، لقد كانت كارولين تشعر بوخز الضمير لهذا السبب دائماً.

- وهل كانت أنجيلا حاقدة على أختها؟

- لا، مطلقاً، بل كانت تبادلها الحب والحنان دون أن تشير من قريب أو بعيد إلى هذا الموضوع.

- وهل كانت أنجيلا راضية بفكرة الذهاب إلى المدرسة؟

- لا، بل ثارت في وجه أمياس وأرادت أن تتحداه ووقفت أختها بجانبها، ولكن أمياس كان من الرجال الذين إذا قرروا أمراً لم يرجعوا عنه، وهكذا لم يكن على أنجيلا إلا أن تخضع في النهاية لقراره.

- ومتى تقرر إلحاقها بالمدرسة؟

- في ذلك الخريف الذي وقعَت فيه المأساة، فأنا أذكر أنهم كانوا يعدون حاجياتها ولوازم المدرسة، ولولا وقوع المأساة لذهبَت إليها بعد أيام معدودة، فقد سمعت حديثاً في الصباح عن ترحيلها بعد إعداد حقائبها.

- وماذا كان رأي المربية الآنسة ويليامز؟ ألا يعني إلحاق أنجيلا بالمدرسة تعطلها هي عن العمل؟

- بلى، ولكن هل يُعقل أن تلجأ سيدة محترمة فاضلة الأخلاق مثل الآنسة ويليامز إلى ارتكاب جريمة قتل حتى لا تتعطل عن العمل؟

- غير معقول طبعاً، وإن كان بعض الناس يرتكبون أبشع الجرائم لأتفه الأسباب. حسناً يا سيد بليك، وماذا كان رأي إليسا في الموضوع كله؟ ألم تشعر يوماً بتأنيب الضمير وهي تعمل على تحطيم أسرة والزواج برجل بعد أن تحرم منه زوجته وابنته؟

- لم تشعر بذلك قط. لقد تحدثت معها طويلاً في هذا الشأن فضحكت وقالت: "إن الإنسان يجب أن يبحث عن السعادة في الحياة، وما دامت الحياة الزوجية بين كريل وزوجته قد أصبحت سلسلة من المتاعب أليس الأفضل أن يتحرر كل منهما من الآخر؟". ورغم أنني لم أقتنع طبعاً بمنطقها فأنا لم أستطِع أن أقنعها بمغبة تلك المغامرة التي توشك على الإقدام عليها بالزواج برجل يكبرها بعشرين عاماً.

وبعد برهة صمت قال بوارو: هل ما زلتَ هاوياً لاستخراج العقاقير من الأعشاب الطبية يا سيد بليك؟

- لا، لا! لقد نفضت يدي من تلك الهواية بعد المأساة تماماً؛ فأنا ما زلت أشعر أنني لا أخلو من المسؤولية غير المباشرة فيما حدث حتى اليوم.

- هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة الكونين التي بقيت في معملك؟

- نعم، بصمات أصابع كارولين فقط.

- وأصابعك أنت؟

- لا، لم أمسك الزجاجة بيدي بل أشرت إليها فقط في أثناء حديثي، ولا شك أن آثار بصماتي القديمة عليها قد زالت بسبب استعمال المنفضة يومياً لإزالة الغبار عن الزجاجات. وبهذه المناسبة، لقد كنت أنظف الزجاجات بنفسي ولم أكن أسمح للخدم بدخول المعمل، فقد كنت أحرص دائماً على غلق بابه بالمفتاح.

- ومتى اختلسَت كارولين كمية الكونين؟

- في أثناء الخروج من المعمل، فقد كانت هي آخر من خرج، وقد وقفت أنا بالباب أتحدث قليلاً مع إليسا غرير ثم ناديت كارولين حين لاحظت أنها تأخرت في الخروج فجاءت مضطربة متوهجة الوجنتين متألقة العينين. يا إلهي! كأنني أراها الآن.

- هل دارت بينك وبين كارولين محادثة بعد ظهر ذلك اليوم؟ أعني بشأن الموقف الذي كان بينها وبين زوجها.

- نعم، ولكن بكلمات قليلة، فعندما رأيتها مضطربة النفس قلت لها: "هل حدث شيء يا كارولين؟"، فقالت: "حدث كل شيء، بل يمكنك أن تقول لقد انتهى كل شيء، لقد انتهيت أنا يا ميرديث". ثم أرسلت ضحكة عصبية وتحوّلت نحو الآخرين في ابتهاج مصطنَع.

وصمت ميرديث برهة قبل أن يستطرد قائلاً: أؤكد لك

يا سيد بوارو أن كارولين كانت صادقة حين اعترفَت في أثناء المحاكمة بأنها اختلسَت كمية الكونين لتنتحر بها، أجل، لم تفكر في قتل زوجها إلا في اليوم التالي.

- هل أنت واثق تماماً أن كارولين هي القاتلة؟

- إذا لم تكن هي فمَن يكون؟

- ألم تقل أنت إن كارولين كانت سيدة رقيقة لطيفة دائماً، أي أنها ملاك بالقياس إلى زوجها؟

- بلى.

- فهل يمكن لمثل هذه السيدة أن ترتكب جريمة قتل عمداً مع سبق الإصرار؟

- كان لكارولين رغم رقتها ولطفها لسان حاد لاذع تلهب به زوجها أحياناً عندما يتمادى في سوء سلوكه، وكانت أحياناً تقول له: "أنا أكرهك، كم أتمنى أن أقتلك وأمزق جسمك بيدي"! أو شيئاً من هذا القبيل، وأعتقد أن تصرفات كريل الأخيرة وتحديه السافر لها قد أفقدها الصواب وجعلها تُقدِم على ارتكاب تلك الجريمة، وأظن أن التي ارتكبَت تلك الجريمة ليس كارولين العاقلة اللطيفة بل كارولين التي فقدَت عقلها.

-إذن فأنت لا توافق على نظرية انتحار كريل؟

- بالطبع، لقد كان كريل آخر إنسان في الدنيا يفكر في الانتحار.

- كأنك في هذه الحالة واثق من إدانتها.

- أعود فأقول: إذا لم تكن هي فمن يكون؟

- أليس هناك احتمال، مجرّد احتمال بسيط، في أن يكون القاتل شخصاً آخر غيرها؟

- هذا احتمال مستبعَد، بل مستحيل. لقد كان فيليب من أخلص أصدقائه وليس هناك أدنى سبب يدعوه لارتكاب مثل هذه الجريمة، وأنا؟ هل أبدو في نظرك قاتلاً؟ حسناً، وإليسا؟ هل يُعقل أن تقتل الشخص الذي كانت تحبه بكل ذرة من كيانها؟ المعقول هو أن تقتل كارولين، وكذلك لا يُعقل أن ترتكب صبية مثل إنجيلا جريمة قتل، وليس هناك سبب يدفع مربية محترمة مثل السيدة وليامز إلى ارتكاب تلك الجريمة، وكذلك الخدم لم يكن لهم أيّ دخل في الموضوع كله.

فقال بوارو بعد برهة صمت: هل يمكن أن تتكرم وتكتب كل ما تعرفه أو تذكره عن تلك المأساة يا سيد بليك. لقد وافق شقيقك السيد فيليب على كتابة ذكرياته عن هذا الموضوع.

- فيليب؟ هل تحدثتَ معه في هذا الصدد؟

- نعم.

- لا شك أنك لاحظت مبلغ تحامله عليها.

- لقد أدهشني هذا التحامل فعلاً.

- لقد كان معادياً لها دائماً.

- لماذا؟

- لا أدري. لقد كان شديد السخط عليها بمناسبة وبغير

مناسبة. وأعتقد أنه كان شديد الاستياء يوم تزوجَت كريل، بل لقد امتنع عن الذهاب إليهما عقب الزواج عاماً كاملاً، ومع ذلك فقد ظل أمياس أخلص أصدقائه. وأعتقد أن هذا هو السبب، فقد كان يعتقد أن أمياس أعظم شأناً منها وكان يخشى أن تنقطع صداقتهما الرائعة بسبب الزواج بها.

- وماذا كان شعور أخيك بشأن موضوع إليسا غرير؟

- كان متناقض الشعور في هذا الموضوع، فقد كان ساخطاً على أمياس لتعلقه بفتاة تصغره بعشرين عاماً، وفي الوقت نفسه كان يشعر بالسرور الخفي لأن كارولين سوف تنفصل عن صديقه الوفي في النهاية.

وبعد فترة صمت قال ميرديث فجأة: لقد انتهى كل شيء، فلماذا كل هذا الحديث عن الماضي وذكرياته المؤلمة؟

- هذا هو ما أرادَته كارولين كريل.

- كارولين؟ ماذا تعني؟

- لقد تركَت لابنتها كارلا خطاباً قصيراً وطلبت من المسؤولين ألاّ يسلموه لها إلا بعد بلوغها الحادية والعشرين، فهل تعرف ماذا كتبت في ذلك الخطاب؟

- لا، طبعاً.

- أقسمَت فيه لابنتها وهي على فراش الموت أنها بريئة.

- هل أقسمت كارولين على هذا؟

- نعم، هل أدهشك هذا؟

- جداً. لو أنك رأيتها في أثناء المحاكمة لما خالجك شك في ارتكابها للجريمة، فقد كانت شاحبة متهالكة مستسلمة لهجمات ممثّلي الاتهام معترفة بكل شيء تقريباً فيما عدا ارتكابها للجريمة، أي فيما عدا وضعها السم في الشراب لزوجها. لقد بدت لي يوم ذاك النموذج الكامل للزوجة التي قتلَت في ساعة يأس زوجها الحبيب ثم ندمت وقررت أن تلحق به، أما الآن...

- أكمل.

- بعد أن أقسمت على براءتها في خطابها لابنتها، فقد بدأت أشك، بل بدأت أعتقد أنها بريئة حقاً؛ فأنا أعرف تماماً أن كارولين كانت من القلائل جداً الذين لا يعمدون إلى الكذب لأيّ سبب، ولكن...

وصمت ميرديث برهة، وراح ينظر بذهول إلى بوارو ثم قال: نعم، ولكن إذا لم تكن هي فمن يكون؟ أنا شخصياً لا أرى أيّ احتمال آخر.

ثم أردف قائلاً بحدة: سيد بوارو، ما رأيك أنت؟

- أنا لا رأي لي، فأنا الآن أجمع الحقائق فقط. أنا أريد أن أعرف كيف كانت كارولين وأمياس والأشخاص الذين شهدوا المأساة، أريد أن أظفر من كل واحد من هؤلاء الأشخاص برأيه الخاص وبشعوره وبرد الفعل الذي تركَته المأساة في نفسه وبذكرياته الخاصة عنها، ومن هذا كله أستطيع أن أصل إلى الحقيقة في النهاية.

فقال ميرديث متحمساً: هذه فكرة صائبة وأنا متفق معك. ومن حسن الحظ أنني أحتفظ بمفكراتي القديمة ويمكنني أن

أكتب لك إذا أردت تقريراً كاملاً عما حدث في ذلك اليوم وفي اليوم السابق له، ولكن أسلوبي في الكتابة ليس كما ينبغي.

- آه! أنا أريد الحقائق فقط أما الأسلوب فلا يهم. وبالمناسبة، أنا أعتقد أن قصر ألدربري قريب من هنا، فهل يمكن أن أذهب إليه وأرى هذا المسرح الذي جرت عليه أحداث المأساة؟

- ممكن جداً، ولكن كثيراً من التغييرات أُدخلت عليه.

- هل هُدم وأُقيم من جديد؟

- لا، بل اشترته إحدى الجمعيات وجعلت منه مصيفاً للشباب وملأت الغرف بالفواصل والحواجز لتكون مقصورات صغيرة للنوم.

- ومن الذي باعه؟

- باعه الوصي على كارلا وضم ثمنه إلى أموالها التي ورثتها عن أبويها.

- ألم ترث أنجيلا شيئاً؟

- لم ترث شيئاً مطلقاً، ولكنها كانت قد ورثت عن أبيها ثروة صغيرة.

- آه، فهمت. هل يمكنك أن تبين لي الأماكن التي تناولها التغيير يا سيد بليك؟

- نعم، ومن حسن الحظ أن الممرات وحديقة البحر لا تزال كما هي.

وبينما هما يسيران قال بوارو حين رأى البحر أمامه: إلى أين نمضي؟

- نحن نمضي إلى خليج ضيق يمتد من البحر إلى داخل اليابسة، وهذا الخليج يفصل بين ضيعتي وضيعة ألدربري وسوف نعبره الآن بالزورق في خمس دقائق، أما إذا سرنا حول نهاية الخليج فسنصل بعد ساعة ونصف ساعة.

وعندما عبرا الخليج بزورق خاص أردف ميرديث قائلاً: هذا هو الطريق الذي كنا نتبعه منذ القدم إلا إذا قامت عاصفة شديدة، ففي هذه الحالة نستخدم الطريق البري.

وفي الجانب الآخر من الخليج شاهد بوارو مجموعة من المنشآت المشيدة بالإسمنت والمخصصة للسباحة، وقد أشار إليها ميرديث قائلاً: هذه كلها منشآت جديدة لم يكن لها وجود من قبل.

وفيما هما يسيران صعدا في ممر متعرج تحف به الأشجار، وأردف ميرديث قائلاً: من المحتمل ألاّ نلتقي بأحد هنا؛ فنحن في شهر إبريل ولم يبدأ موسم الاصطياف بعدُ، وحتى إذا التقينا بأحد فلا خوف لأنني على علاقة طيبة بجميع جيراني.

وحين بدأ الممر يدور حول سور حجري أشار ميرديث إليه وقال: هذا هو سور حديقة البحر ونحن نسير حوله في الطريق الصاعد إلى القصر الآن.

وسارا مرة أخرى في منعطفات الممر المحفوف بالأشجار حتى وصلا إلى باب حديقة البحر، وكان من الممكن أن يتجاوزاه ويواصلا السير في الممر إلى القصر ولكن ميرديث

فتح الباب ودخل مع بوارو إلى حديقة مشمسة ساطعة الضوء تقوم على هضبة تشرف على مياه البحر، وكانت فيها بعض الأشجار وأحواض الزهور، فقال بوارو وهو يمسحها بنظراته: مكان شاعري جميل.

وأشار ميرديث إلى كوخ خشبي متهدم وقال: هنا كان أمياس يحتفظ بأدوات الرسم وبعض زجاجات الشراب والأقداح، وكان ثمة مقعد مستطيل ومنضدة وحامل للرسم ولا شيء غير ذلك.

- وهناك مات أمياس؟

- أجل، على المقعد المستطيل الذي كان موضوعاً بالقرب من الكوخ. وكان من عادته أن يرقد فوق المقعد على وجهه ساعة أو أكثر أو أقل يفكر ويتأمل، ثم يقفز واقفاً ويعمل بفرشاته كالمجنون في اللوحة، وهكذا...

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً: هذا هو السبب الذي جعله يبدو في نظري طبيعياً حين غادرت هذه الحديقة مع إليسا إلى طعام العشاء. لقد كنت جالساً في ذلك المكان المرتفع الذي تراه يشرف على الحديقة من ناحية القصر، فلما دقّ جرس الغداء نهضت وهبطت، وكانت إليسا أسبق مني إلى الباب وكان أمياس متهالكاً على المقعد ليستريح، وقد علمت من إليسا أنه سيبقى ليتم اللمسات الأخيرة من اللوحة، وكان ينظر إلينا نظرات غريبة لم أفهم معناها في تلك اللحظات، ولكن لم يكن ثمة أمارات للألم على وجهه، حمداً لله. وقد كان دون أن ندري في حالة شلل.

- ومن الذي اكتشف وفاته؟

- كارولين، أما أنا وإليسا فكنّا آخر من رآه حياً، على كل حال سوف أكتب لك تفصيلات ما حدث بدقة.

ثم استأنف الرجلان صعودهما في الممر المتعرج حتى وصلا إلى هضبة أخرى صغيرة تشرف على حديقة السطح تظللها الأشجار، وقد قال ميرديث إنها المكان الذي كان جالساً فيه ينظر إلى أمياس وهو مشغول برسم لوحة إليسا.

وبعد أن وصلا إلى القصر وطافا بحجراته ووقفا برهة في شرفته الكبيرة عادا إلى شاطئ الخليج عن طريق ممر آخر أطول، حتى إذا بلغا هاند كروس مرة أخرى قال ميرديث وهو يدخل ردهة بيته مع بوارو: لقد اشتريت تلك اللوحة طبعاً، اللوحة التي مات أمياس وهو يرسم اللمسات الأخيرة فيها، ولم أشَأ أن أجعلها تقع في أيدي جماعة من الحمقى الذين لن يروا فيها إلا فتاة جميلة، فهل تحب أن تراها؟

فلما أومأ بوارو برأسه مضى ميرديث به إلى غرفة أدرك بوارو من النظرة الأولى أنها غرفة المعمل القديم، فقد كانت زاخرة بالأرفف والزجاجات القديمة الفارغة ومنضدة في الوسط، وعندما فتح ميرديث نافذتها انساب إليها الضوء مع عطر نسائم الربيع، ووقف بوارو يستنشق رائحة أزهار الياسمين في حين قال ميرديث: هنا بالقرب من هذه النافذة كنت واقفاً كما أقف أشم عطر الياسمين الآن، وكنت أحدثهم بحماقة عن مفعول مختلف العقاقير التي استخرجتها من النباتات الطبية.

ثم تحرك ميرديث إلى الجدار المواجه للنافذة ورفع الغطاء عن لوحة فنية، وإذا بوارو ينظر بدهشة وإعجاب إلى صورة

زيتية لفتاة جميلة في قميص أصفر اللون وبنطال أزرق جالسة على سياج من الحجارة القاتمة ومن ورائها الأفق الأزرق البعيد، ورغم ألوان الصورة الصارخة المتنافرة فقد أحس بوارو أنه أمام عمل فني ينمّ عن عبقرية خاصة وموهبة أصيلة، عمل يكاد ينبض بالحياة والشباب والحيوية. وشعر بوارو برعدة تسري في جسده وهو يتأمل وجه الفتاة المفعم بالجاذبية والتوثب، ثم قال وهو يشير إلى اللوحة: هذه عمل فني عظيم حقاً، عظيم جداً.

وبينما هو يغادر الغرفة مع ميرديث توقف برهة ثم استدار إلى الصورة فرأى العينين تحدقان النظر فيه، وشاهد في نظرات العينين شيئاً عجيباً مثيراً، وقد فهم بوارو هذا الشيء، ولكن ترى كيف يكون الحال لو أنه أخطأ الفهم؟ فهل ستصارحه صاحبة العينين (وهي لم تزل على قيد الحياة) بكل شيء، أم أن المرأة الحقيقية لا تعرف معنى النظرات التي كانت منبعثة من عينيها في أثناء التصوير؟ هذه نظرات فتاة أحبت بكل كيانها بكل قطرة في دمائها بكل خلجة من أعماق نفسها، ثم جاء الموت واختطف منها الحب والأمل والسعادة وانطفأ ذلك النور من العينين وحلّ محله... يا للهول! ترى ما شكل عينَي إليسا غرير الآن؟

ثم غادر بوارو الغرفة وهو يقول لنفسه: لقد كانت متوثبة بالحياة إلى حد التحفّز.

ومرة أخرى سرت في جسده رعدة خفيفة.

* * *

الفصل الخامس

كان كل شيء في قصر اللورد ديتشام ينم عن الثراء والترف بل ينم عن الرغبة في اقتناء الأفضل والأثمن. وهناك في إحدى قاعات الاستقبال الفاخرة وقف بوارو أمام الليدي ديتشام بعد أن أذنت له بالمقابلة حيث كانت واقفة بجانب مدفأة فاخرة، وكانت أول عبارة مرت بذهن بوارو وهو يرى الليدي ديتشام (أي إليسا غرير) هي: لقد ماتت في شبابها.

لقد خامره الشك برهة في أن هذه السيدة هي نفسها إليسا غرير التي شاهد صورتها في غرفة معمل ميرديث بليك. كانت الصورة لفتاة تنبض بالحيوية والشباب أما هذه السيدة فليس فيها من أمارات الشباب شيء. أجل، ما زال الجمال موجوداً وموفوراً وناضجاً، ولكن الشباب والحيوية والبهجة والحماسة واللهفة والشوق إلى المجهول والأمل في الغد... كل هذا لم يعُد موجوداً. وفي تلك اللحظة تذكر بوارو مأساة روميو وجولييت؛ لقد ماتت جولييت لأنها لم تُطِق البقاء بعد روميو، أما إليسا فإنها بقيت على قيد الحياة ميتة.

قالت الليدي: تفضل بالجلوس يا سيد بوارو، وثق أنني مهتمة بالموضوع الذي جئت من أجله.

قال لنفسه: "لا، أنت كاذبة؛ فكل شيء ينم على أنك لم تعودي تهتمين بشيء، أيّ شيء". وبصوت مرتفع قال: أنا مرتبك يا سيدتي، مرتبك جداً.

- لماذا؟

- لأنني أدرك أن الحديث عن الماضي، عن تلك المأساة بالذات، مؤلم لكِ.

فابتسمت وقالت: هذا لأنك تعتقد أنني سيدة مرهفة الحس، والواقع أنني أبعد الناس عن المشاعر المرهفة. أنا امرأة واقعية ولا مجال للخيال في حياتي. لقد كان أبي كما تعلم صبيّ طحان، وظل يجاهد في الحياة حتى نجح وكوّن ثروة طائلة، والرجل العصامي عادة لا يعرف شيئاً اسمه المشاعر المرهفة.

فقال بوارو لنفسه: نعم، صدقت، فلو كانت مرهفة المشاعر لما تجرأت على الذهاب إلى قصر كريل والحياة مع زوجته تحت سقف واحد.

وعادت هي تقول: ماذا تريد أن تعرف مني؟

- هل أنت واثقة أن الحديث عن هذا الموضوع لا يؤلمك يا سيدتي؟

وترددت برهة، فأدرك بوارو فجأة أن هذه السيدة الجالسة معه صريحة بطبيعتها لكنها قد تلجأ إلى الكذب للضرورة، وأخيراً قالت: هذا الموضوع، أعني الحديث عنه، لا يؤلمني وأنا أتمنى لو أنه يثير ألمي.

- لماذا؟

- لأن من قسوة الحياة أن يعيش الإنسان دون مشاعر أو عواطف.

فعاد بوارو يؤكد لنفسه قائلاً: "أجل، لقد ماتت إليسا غرير". ثم قال بصوت واضح: أواثقة أنت تماماً أن الحديث عن هذه المأساة لا يثير أشجانك وآلامك؟

- أؤكد لك أنني حتى في أثناء المحاكمة لم أشعر بالألم، بل على العكس لقد استمتعت بها برغم سخط الجماهير عليّ. وقد كان محامي الدفاع قاسياً عليّ ولكني عرفت كيف أحاربه وأنتصر عليه. نعم، فقد كنت أمام المحاكمة كلها مثيرة رائعة، ولشد ما تمنيت لو أنها انتهت بصدور حكم الإعدام على كارولين.

فنظر بوارو إلى يدي إليسا ديتشام، يدان جميلتان، ولكن بأظافر طويلة كالمخالب. ثم عادت تقول: لعلك تظن أنني امرأة قاسية لا أرحم. نعم، هذه هي الحقيقة، فأنا لا أشعر بالرحمة لمن يسيء إليّ، وقد أساءت تلك المرأة إليّ إساءة لا تغتفر، إساءة حطمت حياتي كلها، فقد كانت تعلم أن أمياس يحبني وأنا أحبه بكل ذرة من كياني وأننا سنتزوج حينما يتم طلاقه منها، لكنها قتلته حتى لا أسعد بالحياة معه.

وشردت نظراتها وهي تردف قائلة: فهل هناك إساءة أشد من هذه؟

- ألم تحاولي أن تلتمسي لها العذر؟

- لم أحاول مطلقاً؛ فأنا امرأة واقعية كما ذكرت، وإذا خسر الإنسان المباراة فيجب أن يعترف بالهزيمة، وإذا عجزَت

المرأة عن الاحتفاظ بزوجها فيجب أن تفرج عنه وتطلق سراحه. أنا لا أفهم معنى احتفاظ امرأة بزوج لا يريد الحياة معها.

- لعلكِ كنت تفهمين هذا المعنى لو تزوجت به.

- لا أظن، نحن لم نكن...

ثم توقفت فجأة عن الحديث وابتسمت، فشعر بوارو بشيء من الخوف وهو يرى هذه الابتسامة العريضة على شفتيها، لكنها أردفت قائلة: أحب أولاً أن أُبين لكَ بوضوح أن أمياس كريل لم يقع في حبائل فتاة بريئة صغيرة معجَبة به، بل أنا التي أوقعت به في حبائلي. لقد التقيت به في حفلة فأحببته من أول نظرة وقررت أن أترك كل شيء وأعيش بجانبه كالجارية.

- رغم أنه زوج ووالد؟

- نعم، ولِمَ لا؟ لقد كان شقياً في حياته الزوجية فلماذا لا يسعد بالحياة معي؟ الإنسان له حياة واحدة فقط في هذه الدنيا.

- ولكن المعروف أنه كان سعيداً مع زوجته رغم كل شيء.

- لا، لا، كانا يتشاجران دائماً وكانت هي تطلق عليه لسانها السليط كل يوم تقريباً، فقد كانت زوجة سيئة. لعنها الله. قد أكون قاسية عليها ولكنني أعرب عن شعوري نحوها وعن كراهيتي لها وحقدي عليها.

وبعد بُرهة من الصمت تابعت قائلة: أنا لم أكن منافقة أو مرائية يوماً ما بل أسير على المثل الأسباني القائل: «خذ ما تريد

وادفع الثمن». هكذا الحياة وأنا أفعل هذا، أحاول أن أظفر بكل ما أريد دون أن أخشى من دفع الثمن.

- ولكن في الحياة أشياء لا تباع.

- أجل، ولهذا فأنا لا أقصد بكلمة الثمن المال دائماً، فإن الثمن يتوقف على طبيعة الشيء الذي تريده.

- أنا أفهم ما تعنين، ولكن مع هذا فإن ثمة أشياء كثيرة لا تباع بالمال أو بغير المال.

- كلام فارغ.

فابتسم في رفق في حين أردفت هي قائلة: حدثني عن هذا الكتاب الذي تنوي شركة النشر إصداره، ما الغرض منه؟

- أيّ غرض يمكن أن يكون أكثر من ربط أحداث الماضي بمثيرات الحاضر؟

- ولكنكَ لست كاتباً؟

- نعم، ولكنني خبير بالكشف عن الجرائم.

- هل تعني أنك مكلَّف بالتحقيق في هذه الجريمة؟

- مكلف بالوصول إلى الحقيقة أياً كانت.

- ممّن؟

- من كارلا لامرشان.

- ومَن كارلا لامرشان هذه؟

- ابنة كارولين وأمياس كريل.

- آه، حقاً، فقد كانت لهما طفلة صغيرة عند وقوع المأساة. لا شك أنها كبرت الآن.

- نعم، وهي في نحو الحادية والعشرين، طويلة رشيقة رائعة الجمال، وأعتقد أنها قوية الشخصية موفورة الشجاعة.

- أنا أتمنى أن أراها.

- لكنها قد لا تريد أن تراك.

- لماذا؟ آه، فهمت، ولكن من المحتمل أنها لا تذكر شيئاً مما حدث فهي لم تتجاوز الخامسة أو السادسة من عمرها يومذاك.

- لكنها تعرف أن أمها حوكمت بتهمة قتل أبيها.

- ولا شك أنها تعتقد أنني السبب المباشر في كل ما حدث.

- محتمل، أو هو مرجّح.

فهزت إليسا كتفيها قائلة: يا للحماقة! في الواقع كارولين هي السبب، فلو أنها كانت واقعية في تصرفاتها لما...

- إذن أنت لا تشعرين بأية مسؤولية فيما حدث.

- لماذا أشعر؟ ليس هناك ما يدعوني إلى للخجل مطلقاً. لقد أحببته وكنت أريد أن أسعده. أنا لا أدري كيف أجعلك تنظر إلى الأمر من زاويتي، فلو أنكَ كنت تعلم حقيقة الجو المحيط بالمأساة...

فانحنى بوارو متشوقاً وقال بسرعة: هذا ما أريد أن أعرفه

فعلاً، وقد وعد السيد فيليب بليك بكتابة تقرير مفصل عن كل ما جرى وكذلك وعد السيد ميرديث بليك، فإذا سمحت أنت...

فتنفست بعمق وقالت باحتقار: هذان الأخوان كانا دائماً أحمقَين. لقد كان فيليب يخفي غرامه بكارولين تحت ستار من الكراهية، وكان ميرديث يتمنى رضاها لأنه إنسان طيب ساذج، وأكبر ظني أنك لن تظفر بشيء ذي بال من تقريرهما.

وصمتت برهة قبل أن تقول فجأة: هل تريد الحقيقة، الحقيقة لذاتها لا للنشر والإثارة؟

- أنا لن أنشر شيئاً إلا بإذنك.

- ما أشد شوقي إلى كتابة الحقيقة! نعم، إلى شرح موقفي الحقيقي من تلك المأساة، إلى إفهام الناس أن الحب ليس ذنباً بذاته، فمن حق كل إنسان أن يحب وأن يتحرر من قيود الشقاء وأن يبحث عن السعادة. نعم، أريد أن أكشف للناس حقيقة تلك المرأة التي فضّلت الموت لزوجها على إطلاق حريته.

ثم نهضت إليه وأمسكت بكم سترته واستطردت تقول بصوت كالفحيح: ينبغي أن تفهم. نعم، ينبغي أن تدرك تماماً كيف كان الحب بيننا أنا وأمياس، وسوف أطلعكَ على شيء.

واستدارت بسرعة ففتحت دُرجاً صغيراً وأخذت منه خطاباً وقدمته إلى بوارو وهي تقول: اقرأ هذا. اقرأ لكي تفهم مدى الحب الذي كان يربط بيننا.

نظر بوارو إلى الخطاب ثم قرأ ما يلي:

إليسا، يا طفلتي المدهشة العجيبة التي ليس لها مثيل في

الدنيا، أنا خائف؛ فأنا أكبر منك سناً، رجل في منتصف العمر متقلب الأهواء لا مبادئ له أو مُثل عليا، لا تثقي فيّ لا تؤمني بي، فأنا رجل شرير وإن كنت فناناً نابغة. إن أجمل وأعظم ما في نفسي أسكبه في فني فقط، فلا تقولي يوماً إنني لم أحذرك.

حسناً يا حبيبي، أنا برغم كل شيء سأظفر بك، أنا على استعداد كما تعلمين أن أفعل المستحيل من أجلك ومن أجل رسم صورة لك تجعل عالَم الفن يحبس أنفاسه من فرط الدهشة والإعجاب. أنا مجنون بك لا أستطيع النوم ولا الطعام. إليسا، إليسا، إليسا، أنا ملك لك إلى آخر العمر.

أمياس.

رفع بوارو عينيه ونظر إلى إليسا فبدت له في تلك اللحظة متوهجة الوجنتين وكأنما عادت إلى الوراء ستة عشر عاماً!

* * *

الفصل السادس

قالت الآنسة ويليامز بلهجة جادة حاسمة: هل أستطيع أن أسألك عن السبب يا سيد بوارو؟

وكان بوارو قد صعد بعد عناء إلى الغرفة الوحيدة التي تقيم بها الآنسة ويليامز، وكانت غرفة تنم عن رقة الحال. كانت الآنسة ويليامز جالسة أمامه على أريكة قديمة بوجهها المغضن إذ كانت قد بلغت الستين من عمرها وكانت تردد: أنت تريد ذكرياتي عن مأساة أمياس كريل وزوجته، فهل لي أن أسأل عن السبب؟

فشعر بوارو أنه أمام هذه السيدة التي قضت حياتها في تربية وتعليم الأطفال لا يستطيع أن يكذب وكأنما قد تحول إلى طفل أمام مربيته الحازمة فجأة، ومن ثَم لم يسعه إلا أن يذكر لها الحقيقة كاملة، وأنصتت هي إليه باهتمام ثم قالت أخيراً: كيف حال تلك الطفلة المسكينة الآن؟ لا شك أنها كبرت وأصبحت شابة.

- نعم، وجميلة وقوية الشخصية وشجاعة القلب، ويمكنني القول أيضاً إنها قوية الإرادة، وهي مصرّة على أن تصل إلى الحقيقة بأيّ ثمن.

- هل تتمتع بمزاج فنّي كأبيها؟

- لا أظن.

- حمداً لله، إذن فهي أقرب إلى أخلاق أمها من أبيها.

- أعتقد هذا، ويمكنك أن تتأكدي من هذه الحقيقة إذا رأيتها.

- أنا أحب أن أراها فقد اعتدت دائماً أن أسعد برؤية الأطفال بعد أن يكبروا ويصبحوا رجالاً ونساء.

- من حسن حظها أنها كانت طفلة صغيرة عند وقوع مأساة والديها.

- نعم، فمن المؤكد أنها لو كانت أكبر لتركت الصدمة في نفسها أثراً لا يمحوه الزمن.

- بالمناسبة يا آنسة ويليامز، هل أستطيع أن أعرف رأيك في العلاقة الحقيقية التي كانت بين كارولين وابنتها الطفلة كارلا، هل كانت بالنسبة لها أماً مثالية؟

فصمتت الآنسة ويليامز برهة ثم قالت: نعم، إلى حدّ ما، فقد كانت تهتم بها وتعنى بصحتها وتقوم على رعايتها كأحسن ما تكون الرعاية، ولكنها مع ذلك كانت متفانية إلى حد التضحية بالنفس في حب زوجها أمياس. لم أشهد في حياتي زوجة أحبت زوجها بمثل هذه القوة والتفاني، فقد كانت تعيش به ومن أجله، وأعتقد أن هذا يفسر الدافع الذي جعلها تقضي عليه حتى لا تراه بين ذراعي امرأة أخرى.

- هل كنت تميلين إلى أمياس كريل؟

- لا، لم أكن أميل إليه أو أرضى عن تصرفاته، ولو كنت زوجته لما قبلت الحياة معه بأيّ ثمن، فهناك أشياء لا يمكن للزوجة أن تحتملها.

- وهل كانت السيدة كريل تحتملها؟

- نعم.

- كأنكِ تعتقدين أنها مخطئة في هذا الاحتمال، أليس كذلك؟

- بلى، لقد كانت مخطئة، فينبغي على المرأة أن تحافظ على كرامتها ولا تخضع للإذلال المهين.

- هل حدّثت السيدة كريل برأيك هذا في أثناء إقامتك معها؟

- طبعاً لا، ولماذا أفعل؟ لقد كنت مكلفة بتدريس إنجيلا وارين لا بإسداء النصائح لهذا أو ذاك.

- ولكنكِ كنت تحبينها.

- أجل، لقد كنت أحبها أشد الحب، وكم حزنت عليها ولأجلها.

- وتلميذتك أنجيلا، ماذا عنها؟

- لقد كانت فتاة عجيبة من أعجب الفتيات اللائي درستهنّ، فقد كان لها عقل ذكي وشقاوة وسرعة غضب وجموح، ولكنها مع ذلك كانت لطيفة خفيفة الظل.

ثم صمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة: ودائماً كنت أشعر أنها ستنجح في الحياة وتحرز شهرة واسعة ومركزاً رفيعاً، وهذا ما حدث فعلاً. هل قرأت آخر مؤلفاتها عن الصحراء المصرية؟ وهل علمتَ أنها هي التي اكتشفت مقابر الفراعنة في مديرية الفيوم بمصر؟ في الواقع أنا شديدة الفخر بها، حقاً أنا لم أبقَ معها في ألدربري غير عامين، ولكن أعتقد أنني استطعت توجيه عقلها وذهنها وآمالها في هذا الطريق، طريق الكشف عن الآثار والاهتمام بالتاريخ.

فقال بوارو: وما رأيك في إليسا غرير؟

- كانت فتاة جريئة وقحة ليس لها مبادئ سامية.

- لقد كانت صغيرة طائشة، أليس كذلك؟

- لم تكن صغيرة، فقد كانت في السن التي تجعلها تفهم وتدرك ما يضر وما ينفع. أنا لا ألتمس لها أيّ عذر.

- ولكن الحب يا الآنسة ويليامز...

- الحب؟ هل يمكن للإنسان أن يعتذر عن سوء سلوكه وشذوذ تصرفاته بالحب؟ وهل يليق بفتاة أن تحب رجلاً متزوجاً وأن تقبل الحياة معه في بيت الزوجية وأن تتحدى زوجته علناً بقولها لها إنها ستأخذ منها زوجها؟ هذا ليس حباً بل هو سوء تربية.

- لا شك أن موت أمياس كريل كان صدمة رهيبة لها.

- أجل، بكل تأكيد، ولكنها هي المسؤولة عن موته. وأنا ألتمس العذر كل العذر للسيدة كريل، فأنا نفسي كنت أشعر

أحياناً بالرغبة في قتل السيد كريل وحبيبته الوقحة، فأنا لم أرَ في حياتي رجلاً يتمادى في تحدّيه لمشاعر زوجته المحبة له إلى هذا الحد. إن الموت هو أقل جزاء لمثل هذا الرجل، وقد نال أمياس جزاءه العادل.

وبعد برهة من الصمت قال بوارو فجأة: هل كنت مع السيدة كريل عندما اكتشفَت موت زوجها؟

- نعم، فقد غادرت القصر معها بعد طعام الغداء، وكانت هي في طريقها إلى زوجها لترى إذا كان يريد شيئاً أم لا وكنت أنا في طريقي إلى الشاطئ لأبحث عن صديرية صوف لإنجيلا التي كانت متعودة على إهمال بعض ملابسها وتركها في أي مكان. وافترقنا عند باب حديقة البحر، ولكن ما إن سرت بضع خطوات حتى سمعت صيحة السيدة كريل، فعدت إليها مسرعة حيث رأيت السيد كريل راقداً على المقعد المستطيل بجانب حامل الرسم ميتاً منذ ساعة على الأقل.

- هل كانت شديدة الاضطراب عند اكتشافها لموت زوجها؟

- ماذا تعني بهذا السؤال؟

- أنا أريد أن أعرف انطباعك الخاص عن هذا الموقف.

- آه، فهمت. أعتقد أنها كانت في حالة ذهول، ولكنها طلبَت مني أن أسرع لاستدعاء طبيب فنحن لم نكن واثقين تماماً من موته طبعاً.

- وهل ذهبت واستدعيت الطبيب هاتفياً؟

- لا، فقد التقيت في الممر بالسيد ميرديث بليك فكلفته بالقيام بهذه المهمة، ثم أسرعت عائدة إلى السيدة كريل، فقد خشيت أن تسقط مغشياً عليها.

- وهل وجدتها في هذه الحالة فعلاً؟

- لا، كانت ثابتة هادئة تقريباً، أثبت وأهدأ كثيراً من إليسا غرير التي كانت حين بلغها النبأ في حالة عصبية رهيبة حتى كادت تقتل كارولين لو أُتيحت لها الفرصة.

- هل معنى هذا أنها أدركت فوراً أن كارولين هي قاتلة زوجها؟

ففكرَت الآنسة ويليامز برهة ثم قالت: لا أظن أنها كانت واثقة تماماً أن كارولين سممت زوجها، ولكنها ارتابت في ذلك وكانت تصرخ في عصبية رهيبة قائلة: "كل هذا بسببك يا كارولين. لقد قتلته والذنب كله ذنبك"، ولكنها لم تقُل بصريح العبارة: لقد سممته.

- وماذا كان شعور السيدة كريل؟

- الواقع أنني لا أستطيع أن أحدد شعورها تماماً في تلك اللحظات، هل كان الفزع الذي سيطر عليها أم الحزن أم الندم؟

- هل بدا عليها شيء من هذا؟

- لا أدري تماماً، فقد كانت أقرب إلى الذهول منها إلى أيّ شيء آخر.

- هل كنت تتمنين أن يُحكَم ببراءتها؟

- نعم، من صميم قلبي.

- كأنكِ مقدّرة شعور ابنتها في محاولتها البحث عن الحقيقة.

- نعم، كل التقدير.

- إذن ألديك مانع في كتابة ذكرياتك عن المأساة في دقة وتفصيل بقدر الإمكان؟

- وهل ستقرأ كارلا هذا التقرير؟

- نعم، بالتأكيد.

- حسناً، أنا لا أمانع ولكن هل هي مصرّة كل الإصرار على أن تصل إلى حقيقة موقف والديها من تلك الجريمة مهما تكن مرارة هذه الحقيقة؟

- نعم، بلا شك.

- أنا متفقة معك في هذا، فخير للإنسان أن يستريح إلى معرفة الحقيقة بدلاً من محاولة خداع نفسه بالأوهام، وأعتقد أن كارلا حين تعرف الحقيقة كلها سوف تنسى الموضوع كله على مر الأيام.

- ولكنها في الواقع تأمل أن تثبت الحقيقة براءة أمها.

- يا لها من مسكينة! ستثبت الحقيقة عكس ما ترجو وتأمل.

- أواثقة أنت من إدانة السيدة كريل إلى هذا الحد؟

- نعم، بالتأكيد.

* * *

الفصل السابع

كان مسكن أنجيلا وارين يشرف على حديقة ريجنت بارك الفاخرة، وكان الهواء في ذلك اليوم من أيام الربيع ينساب من النافذة إلى جوانب المسكن رقيقاً ناعماً منعشاً يثير في النفس الشعور بجو الريف لولا ذلك الضجيج الرهيب لحركة المرور في الشارع. واستدار بوارو عن النافذة حين سمع وقع أقدام أنجيلا في الغرفة، ولم تكن هذه أول مرة يرى فيها أنجيلا، فقد سبق أن استمع إلى محاضرة لها في قاعة الجمعية الجغرافية وكان قد أُعجب بها إعجاباً لا حدّ له.

كانت بارعة في الإلقاء رائعة في التعبير ثابتة الأعصاب غزيرة العلم لا تتردد ولا تكرر نفسها ولا تعجز عن الإجابة الصحيحة عن كل سؤال خاص بالموضوع بعد انتهاء المحاضرة. ولم يرَ الجانب المشوّه من وجهها في أثناء المحاضرة، أما الآن وهو يراها عن قرب فقد لاحظ أثر الجرح العميق الممتد من طرف عينها اليسرى إلى نهاية خدها، ولم تكن العين مغلقة بل بدت سليمة في الظاهر رغم فقدانها قوة البصر تماماً.

وقد خطر لبوارو وهو يرى أنجيلا بقامتها الطويلة ووجهها الباسم وجبينها العريض المشع بالعلم والذكاء أنها الشخصية

الوحيدة التي نجحت تماماً في الحياة من بين الشخصيات الخمس التي شهدت المأساة. لقد نجح فيليب بليك في جمع المال حقاً، لكن جمع المال لذاته لا يعتبر نجاحاً في الحياة. أما ميرديث فقد ظل كما هو جامداً لا يتطور مع الزمن وكأنما يعيش في العصور الماضية. وقد بدأت إليسا غرير حياتها بالجمال والشباب والمال والحب، وكان كل شيء يبشر بأنها ستكون من أسعد الناس في الحياة فإذا بها عقب المأساة تغدو من أكثر الناس شقاء. نعم، فليس هناك من هو أشقى من الإنسان الميت الحي. أما السيدة ويليامز فقد عاشت كمعظم الذين يحملون العلم والمعرفة إلى أذهان التلاميذ تعطي في الحياة ولا تأخذ، وقد أخذَت منها الحياة كل شيء ولم تعطِها أي شيء.

أما أنجيلا فعرفت رغم تشوه جانب وجهها كيف تظفر بذكائها وشجاعتها وحبها للمغامرة من الحياة بكل شيء، بالمال والشهرة والمجد والسعادة، ولم يكن الثمن غير هذا الأثر المشوّه لجانب وجهها، ولكنها كما بدت لبوارو في تلك اللحظة لم تكن تشعر بهذا التشويه لطول ما ألفته، كما أدرك بوارو أيضاً أن أنجيلا ليست من النوع الذي يحتاج الإنسان إلى اللف والدوران في الحديث معه ليصل إلى غرضه، ومن ثَم تحدث معها بصراحة عن زيارة كارلا لامرشان له.

وعندئذ أضاء وجه أنجيلا بابتسامة جذابة وهي تقول: آه، كارلا الصغيرة؟ أهي هنا؟ أودّ أن أراها، فما أشد شوقي إليها!

- ألم يكن بينكما اتصال بريدي خلال تلك الأعوام الطوال؟

- بلى، اتصال بسيط جداً، فقد كنت بعد المأساة في مدرسة داخلية خارج البلاد وكانت هي في كندا ولم نتبادل إلاّ بعض الهدايا البسيطة في أعياد رأس السنة، وظننت أنها ستظل في كندا دائماً فأنا لا أجد أيّ سبب يدعوها إلى العودة هنا.

- أجل، فقد كانت في جو جديد وفي بيئة جديدة وتحمل اسماً جديداً، ولكن يبدو أن المسألة بالنسبة لها لم تكن بمثل هذه السهولة.

ثم راح يحدثها عن خطبة كارلا للشاب الذي يحبها وعن رغبتها في الوصول إلى الحقيقة عن مأساة والديها وعن إيمانها العميق ببراءة والدتها، وعندئذ قالت أنجيلا بحماسة: أنا أتمنى لها من صميم قلبي أن تنجح في هذه المهمة، كما يسرني أن أقدم في هذا السبيل كل مساعدة ممكنة.

- إذن فأنت تعتقدين أن هناك احتمالاً في إثبات براءة السيدة كريل؟

- أنا شخصياً أؤمن تماماً أن كارولين لم ترتكب تلك الجريمة، هذا هو رأيي منذ اللحظة الأولى.

- أنت تدهشينني بهذا الاعتراف يا آنسة وارين، فإن الجميع يظنون غير هذا!

- لهم العذر، فقد كانت الأدلة جميعها ضد أختي، ولكنني أعرف عن يقين أن كارولين لم يكن في مقدورها أن ترتكب أية جريمة قتل.

- هل يمكن لأيّ إنسان أن يثق ثقة تامة بأن أيّ إنسان آخر

منزَّه عن ارتكاب جريمة قتل مهما تكن الظروف والأحوال؟

- لا يمكن في بعض الحالات طبعاً، وأنا أتفق معك على أن الجنس الآدمي كفيل بارتكاب أية جريمة في بعض الظروف الخاصة، أما في حالة كارولين فلديّ من الأسباب ما يجعلني أؤمن بأنها آخر من يرتكب جريمة، وأنا أقدّر تلك الأسباب أكثر من أيّ شخص.

ثم لمست أثر الجرح العميق على خدها وأردفت قائلة: أترى هذا؟ لعلك عرفتَ كيف حدث.

فلما أومأ بوارو برأسه أردفت قائلة: هذا من صنع كارولين، وهو السبب الذي يجعلني أؤمن بأنها لا يمكن أن ترتكب جريمة أيضاً.

- إن بعض الناس يرون أنه في الواقع الدليل الذي يثبت استعدادها لارتكاب مثل هذه الجريمة.

- ولكن الحقيقة هي العكس، أو ينبغي أن تكون العكس! صحيح أن ممثل الاتهام اتخذ من هذه الإصابة دليلاً على تهور كارولين وعنف طباعها. إن الناس يظنون أن الفتاة التي كادت تقتل أختها الطفلة بدافع الغيرة لا تتردد في قتل زوجها لهذا الدافع نفسه، ولكن لو حاول هؤلاء أن يحسنوا التفكير لعرفوا أن العكس هو الصحيح.

فغمغم بوارو قائلاً: هذا فضلاً عن أن الإنسان المتهور السريع الغضب لا يلجأ إلى السم في ارتكاب جريمته لأن القتل بالسم يحتاج إلى تفكير وتدبير وثبات أعصاب، أما المتهور العنيف فإنه يحاول القتل بأيّ شيء يقع تحت يده.

فلوحت أنجيلا بيدها وقالت: ليس هذا ما أعنيه وإن كان لا يتجاوز الواقع، بل أعني شيئاً آخر، وسأحاول أن أوضحه لك. لنفرض أنك إنسان عادي ولكنك شديد الغيرة، كما هو الحال مع الكثيرين. ولنفرض أنك في سن الطيش والمراهقة والعجز عن السيطرة التامة على المشاعر والأعصاب، وأوشكت أن ترتكب جريمة قتل أخ صغير أو أخت. إذن فكّر في الصدمة الرهيبة وفي الفزع والندم الذي يملأ نفسك بعد ذلك؛ فمثل هذه المشاعر، الفزع والندم، لا يمكن أن تزول من نفس فتاة مرهفة الحس مثل كارولين مهما مرت الأيام، وحين أذكر معاملتها لي بعد إصابتي أُدرك حقيقة الفزع والندم والألم الذي كان يستبدّ بها.

ثم أخذت نفساً عميقاً قبل أن تستطرد قائلة: لقد ظلّ هذا الحادث، حادث إصابتي على يديها، يؤرقها ويثقل عليها ويلون تصرفاتها بلون خاص، وهو يفسر موقفها بعد ذلك مني وشدة حبها لي وفرط عطفها عليّ ومبلغ تعلقها بي، فقد كانت تريد أن تعوضني عن إصابتي بكل شيء، ولو بحياتها إذا استطاعت. وكان معظم مشاجراتها مع زوجها بسببي، وكنت أشعر بالغيرة منه فأدبر له مقالب صبيانية سخيفة، ومع ذلك كانت كارولين تقف بجانبي دائماً. أنا أريد أن أقول إن النتيجة التي ترتبت على تهورها في إصابتي هي شعور دائم في أعماق نفسها يجعلها تحذر من ارتكاب عمل آخر مماثل.

وصمتت قليلاً ثم نظرت إلى بوارو وقالت: لقد كانت كارولين تراقب نفسها بنفسها دائماً، كانت في فزع مستمر من أن يتكرر ذلك الحادث بصورة أو بأخرى، وقد لجأت في مراقبة نفسها إلى وسائلها الخاصة، فمن هذه الوسائل استعمال

العبارات العنيفة القاسية في أثناء غضبها، وكلنا نعرف أن مثل هذا الانطلاق في الألفاظ القاسية هو عادة صمام الأمن الذي يهدّئ من ثورة الغضب المشتعل ويحول الرغبة في التحطيم إلى مجرّد كلمات لا تضر ولا تنفع.

وعندما أومأ بوارو برأسه موافقاً استطردت قائلة: لقد أدركَت بالتجربة جدوى هذه الوسيلة، وأدركت أن العبارات العنيفة التي تطلقها في أثناء الغضب هي صمام الأمن لطبيعتها المندفعة المتهورة، وهو السبب الذي يجعلها تقول لزوجها ساعة الغضب مثل هذه العبارات: "سأمزقك إرباً، وأضع لحمك في زيت مقلي"، أو "إذا تماديت في إغضابي فسوف أقتلك حتماً"، وكانت سريعة الغضب كثيرة الشجار، فقد كانت ترى في شجارها تخفيفاً عن طبيعتها العنيفة المندفعة، ولهذا كثيراً ما كانت تقع بينها وبين أمياس مشادّات عجيبة وأحياناً طريفة.

- نعم، فقد قيل لي إنهما كانا يتشاجران كالقطة والكلب.

- تماماً، ولكن الشيء الذي لم يفهمه الناس عنهما هو أنهما كانا يستمتعان بهذه المشاجرات. نعم، أنا أتذكّر تلك الحقيقة. لقد كان كل منهما يوجه في أثناء الغضب إلى الآخر أعنف وأقسى العبارات ولكن هذا كله لم يكن ليؤثر على الشعور الحقيقي الذي يكنّه كلٌّ منهما لصاحبه. بعض الأزواج يحبون الحياة الرتيبة المسالمة ولكن أمياس كفنان لم يكن يحب تلك الحياة الرتيبة، فقد كان يثير ضجة صاخبة حامية إذا فقد زرّاً من أزرار قميصه مثلاً، فكانت هي تكيل له الصاع صاعين، ثم لا يلبثان أن يهدآ ويتصافيا كأنما أزاح كل منهما عن كاهله عبئاً

ثقيلاً أو أفرغ من نفسه شيئاً محبوساً.

ثم لوحت أنجيلا بيدها في ضيق وأردفت قائلة: لو أنهم لم يبعدوني عن جو المحاكمة لذكرت تلك الحقائق أمام القضاة. ثم هزت كتفيها وعادت تقول: ولكنني أعتقد أنهما ما كانوا ليصدقونني، كما أنه لم يكن في مقدوري يومذاك أن أوضح للمسؤولين حقيقة الموقف بين الزوجين كما أفهمه الآن. هل تفهم ما أعني؟

- تمام الفهم، ولكن ماذا كان شعورك الخاص في ذلك الحين يا آنسة وارين؟

فتنهدت أنجيلا وقالت: أعتقد أن شعوري كان مزيجاً من الحيرة والعجز يومذاك؛ كنت في شبه حلم مزعج عجيب، فقد رأيت كارولين يُقبَض عليها بعد ثلاثة أيام من الحادث، وأذكر أنني أعلنتها ثورة صبيانية جامحة على الجميع، ولكن كارولين نصحتني بالتزام السكينة والهدوء، ثم طلبت من المسؤولين ألا يزجوا بي في تلك القضية فذهبت إلى أسرة صديقة في الريف، ولما تقرر عدم الحاجة إلى سماع شهادتي تمت الترتيبات لترحيلي إلى مدرسة داخلية في الخارج، في ميونخ. وقد رفضت الذهاب في أول الأمر، ولكن الجميع أقنعوني أن تلك هي إرادة كارولين وأن من الواجب عليّ في مثل تلك الظروف أن أعاونها بالطاعة، فذهبت. وبعد ثلاثة أشهر علمت بالحكم الذي صدر عليها، وحين حاولت زيارتها رفضَت في إصرار، ولا أدري لماذا.

- لأنها أرادت أن تجنبك الآلام النفسية حين ترين أختك الحبيبة في ملابس السجن.

- ربما.

ونهضت أنجيلا وارين واقفة ثم استطردت تقول: بعد صدور الحكم بإعدامها، أي قبل تخفيفه إلى السجن المؤبد، أرسلَت أختي إليّ خطاباً خاصاً لم أُطلع عليه أحداً، ولكنني أعتقد أنه لا مانع من أن أُطلعك عليه الآن، فأنت بعد أن تقرأه ستعرف أيّ نوع من النساء كانت، ويمكنك إذا أردت أن تأخذه لتطلع عليه كارلا.

وغادرت الغرفة، ثم لم تلبث أن عادت ومعها خطاب وصورة شمسية، ثم قالت: هذه صورتها، فهل تراها صورة قاتلة؟

نظر بوارو إلى الصورة بإمعان، إلى الوجه البيضاوي والملامح الرقيقة والعينين الهادئتين. هذا وجه امرأة غير واثقة من نفسها، امرأة قوية العاطفة ذات جمال خلقي ولكن تنقصها قوة الشخصية والحيوية اللتان تتمتع بهما ابنتها، تنقصها تلك الروح الشغوفة بالحياة ومباهجها التي ورثتها كارلا عن أبيها. قالت أنجيلا: أما وقد رأيتَ صورتها فاقرأ خطابها.

وبسط بوارو الخطاب برفق وراح يقرأ:

حبيبتي أنجيلا الصغيرة،

سوف تسمعين أخباراً سيئة تحزنك، ولكنني أريد أن أؤكد لك أن كل شيء كما ينبغي معي. أنا لم أكذب يوماً، وأنا الآن لست أكذب عليك إذا قلت لكِ إنني في الواقع سعيدة وأنا أشعر بإحساس عميق بالسكينة والسلام والعدالة لم أشعر به من قبل.

تأكدي يا حبيبتي أنني لست حزينة ولا يائسة ولا نادمة على شيء، فلا تحاولي أن تعودي بالذاكرة إلى الماضي فتشعري بالحزن والأسى من أجلي. انظري إلى الأمام واهتمي بحياتك واطلبي النجاح، وأنا أعرف أنك قادرة على النجاح وعلى الانتصار، أما أنا فسوف أعود إلى أمياس، ولست أشك في أننا سنبقى معاً، وما كان في مقدوري أن أستمر في الحياة دونه. أنا أرجو منك شيئاً واحداً، وهو أن تكوني سعيدة، وقد قلت لك إنني سعيدة، فإن على الإنسان أن يدفع الثمن وأن يشعر في النهاية بالسكينة والسلام.

وبعد أن قرأ بوارو الخطاب مرتين أعاده إليها قائلاً: هذا خطاب جميل رائع يا آنسة، خطاب مدهش عجيب.

- لقد كانت كارولين شخصية عجيبة مدهشة حقاً.

- وهل أدركتِ أن الخطاب يدل على براءتها؟

- نعم، بلا شك.

- لكنها لم تعلن ذلك صراحة.

- لأنه لم يخطر ببالها يوماً أنها مذنبة.

- ربما، ربما، ولكن يمكن من جهة أخرى أن يدل ذلك الخطاب على أنها أذنبَت ودفعت الثمن وأصبحت في حالة نفسية هادئة.

فقالت أنجيلا: لا، لا. أنا واثقة من براءتها تماماً.

- الله يعلم أنني أتمنى أن تكون ثقتك في محلها، ولكن

إذا لم تكن أختك هي المذنبة فماذا حدث حقاً؟

فأومأت برأسها وقالت: تلك هي المشكلة، وأعتقد أن التعليل الوحيد هو أن أمياس مات منتحراً.

- ولكن أتعتقدين في قرارة نفسك أن أمياس من الأشخاص الذين يحلّون مشكلاتهم بالانتحار؟

- هو في رأيي آخر من يفعل ذلك، ولكنْ لكل قاعدة شواذ؛ فلعل الشخص الذي يبدو للجميع أنه محصّن ضد الانتحار هو أول من ينتحر في ساعة اليأس، فنحن لا نعرف عن حقائق النفس البشرية إلا القشور.

- هل هناك أيّ احتمال آخر في رأيك؟

فصمتت أنجيلا لحظة ثم قالت: أنا أفهم ماذا تعني، ولكنني لم أفكر من قبل في أيّ احتمال آخر. أنت تعني أن شخصاً آخر قتل أمياس، قتله عن عمد وسبق إصرار وبعد تدبير محكم.

- أليس هذا محتمَلاً؟

- الاحتمال في تلك الحالة يكاد يتساوى مع احتمال انتحاره.

- إذن لنبحث ذلك الاحتمال ونحاول أن نعرف أيّ الأشخاص الخمسة أقرب الجميع إلى ذاك الاحتمال.

فصمتت أنجيلا لحظة أخرى ثم قالت: حسناً، دعني أفكر. أنا شخصياً لم أقتله، ولم تقتله إليسا على وجه اليقين، فقد كادت تفقد عقلها حين علمَت بموته. فمن يتبقى؟ ميرديث بليك. لقد

كان دائماً كالقطة الأليفة الهادئة حقاً، وقد كان يحب كارولين في صمت. ويصلح ذلك الحب أن يكون باعثاً للقتل، ولكن على هذا الفرض لماذا يقتل أمياس وهو يعلم أنه سيطلّق كارولين وسيتزوج إليسا؟ هذا عدا أن ميرديث ليس بالرجل الذي يلجأ إلى القتل لتحقيق أهدافه. مَن يتبقى بعد ذلك؟

- فيليب بليك والآنسة ويليامز.

فصمتت أنجيلا لحظة ثم قالت: لقد كانت الآنسة ويليامز شديدة الحب لأختي ولم تكن راضية عن تصرفات أمياس، ولكن أيكفي ذلك الحب للزوجة وذلك النفور من الزوج ليكونا سبباً يدفع سيدة ذات مبادئ وخلق كريم إلى ارتكاب جريمة قتل؟

- أنا شخصياً لا أعتقد ذلك.

- لم يبقَ إذن غير فيليب بليك، وما دمنا نتحدث عن الاحتمالات فأنا أرى أن احتمال ارتكابه للجريمة هو أقرب تلك الاحتمالات كلها إلى الصواب.

- لقد أثرت فضولي جداً يا آنسة وارين. أيمكن أن أعرف السبب؟

- أنا لا أعرف شيئاً محدداً عنه، ولكنني أعتقد مما أذكره أنه شخص محدود الخيال ضيق الأفق، ومثل ذلك الشخص قد يلجأ إلى أقصى الوسائل لتحقيق أغراضه.

- وهل كان لفيليب أغراض خاصة؟

- أنا لا أدري على وجه التحديد، ولكن الإنسان يذكر

أحياناً أشياء تعيد إلى ذاكرته فجأة أشياء مماثلة. فقد حدث وأنا أقيم في فندق على ساحل الريفيرا أنني رأيت سيدة تخرج في منتصف الليل من غرفة شاب أعزب لا يمتّ إليها بصلة قرابة، وقد فوجئت هي برؤيتي لها ورأيت على وجهها أمارات عجيبة، أمارات المرأة التي ضُبطت وهي تغادر خلسة غرفة عشيقها. وقد ذكّرني ذلك الموقف بموقف آخر شاهدته في صغري دون أن أفهم معناه يومذاك، ولكنني فهمت ذلك المعنى أخيراً.

- أيّ موقف تعنين؟

- موقف أختي كارولين وهي تخرج في سكون الليل من غرفة فيليب بليك في أثناء إقامته في قصر ألدربري. أنا لم أفهم يومها معنى خروجها من غرفته في مثل تلك الساعة، ولكنني فهمته بعد أن شاهدت نفس الأمارات التي ارتسمت على وجه سيدة الفندق في ساحل الريفيرا، أمارات وجه المرأة الخارجة من غرفة عشيقها.

- ولكن هذا عجيب يا آنسة وارين. لقد فهمت من حديث فيليب أنه كان يكره أختك أشد الكراهية.

- نعم أعرف، ولكن هذا ما حدث.

* * *

الفصل الثامن

كتب فيليب بليك عن مأساة أمياس كريل وزوجته ما يلي:

كانت صداقتي لأمياس كريل ترجع إلى عهد الطفولة، فقد كان بيت أسرتي قريباً من بيت أسرته في الريف وكان أمياس أكبر مني سناً بعامين، وكثيراً ما لعبنا معاً وقضينا الإجازات المدرسية معاً، رغم أننا لم نكن في مدرسة واحدة. وأستطيع أن أقول وأنا مطمئن إلى هذا القول: إن ما أعرفه عن أخلاق كريل وطباعه يجعلني أستبعد تماماً كل ادعاء بأنه مات منتحراً، فقد كان أشد الناس حباً للحياة واستمتاعاً بها وإقبالاً عليها، وكان موفور الشباب والجمال والقوة وكان في طريق المجد والشهرة والثراء، فلماذا ينتحر؟ أينتحر لأنه شعر بتأنيب الضمير بسبب معاملته لزوجته؟ هذا أمر يثير السخرية والضحك.

أما زوجته كارولين فقد كنت أعرفها منذ صباها، منذ أن كانت تأتي للإقامة مع أقاربها من أسرة كريل، وكانت يومذاك فتاة مندفعة متهورة لا تتحكم في أعصابها. ورغم جمالها وجاذبيتها فقد كانت من الفتيات اللاتي يصعب على الإنسان أن يعيش سعيداً بالزواج بإحداهن. وقد ألقَت شباكها حول أمياس، ولم

يكن هو في أول الأمر ميالاً إليها، ولكنه لم يلبث بعد أن ألفها وخرج معها بمفرده كثيراً أن تعلق بها وتمت خطبتها.

وشعر أصدقاء أمياس المخلصون بالقلق لهذا الزواج لأنه كان من الواضح أن كارولين ليست بالزوجة الصالحة لأمياس، وكان هذا هو السبب في وجود شيء من النفور بين كارولين وأصدقاء أمياس المخلصين في السنوات الأولى من الزواج، ولم يكن أمياس بالإنسان الذي يتخلى عن أصدقائه بسهولة لأيّ سبب.

وهكذا لم تلبث العلاقة الوطيدة والصداقة الأكيدة أن عادت كما كانت بيني وبينه وبدأت أتردد على قصر ألدربري، وقد جعلني هو والداً روحياً لابنته كارلا، ولعل هذا هو الدليل الأكيد على مدى صداقتنا الرائعة.

ونعود إلى المأساة فأقول: لقد دُعيت للإقامة ضيفاً في قصر صديقي كريل بألدربري قبل وقوع الحادث بخمسة أيام، هكذا جاء في مفكرتي، أي في اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر، وقد شعرت منذ اللحظة الأولى بتوتر الجو بين أمياس وكارولين، فقد كانت الآنسة إليسا غرير تقيم أيضاً في القصر وقد كان أمياس مشغولاً برسم صورة زيتية لها.

وكانت تلك أول مرة أرى فيها الآنسة غرير بعد أن سمعت عنها من أمياس، وقد تبينت من الوهلة الأولى أن صديقي غارق إلى أذنيه في حب الفتاة، وكان من الواضح أنها هي التي أوقعَت أمياس في شراكها برغم فارق السن بينهما وبرغم ثرائها الواسع.

أما كارولين فكانت غيورة بطبيعة الحال كالمعتاد، وكانت غيرتها الشديدة هي السبب الذي يدفع أمياس إلى إلقاء نفسه بين الحين والآخر في هوى هذه المرأة أو تلك. المهم أن الجو كان شديد التوتر، وأذكر أن أمياس قال لي حين رآني: "حمداً لله أن جئت يا صديقي، الحياة بين أربع نساء تكفي لأن ترسل الإنسان إلى مصحة الأمراض النفسية"! وكان يقصد زوجته وإليسا والمربية الآنسة ويليامز وأنجيلا وارين. والواقع أن الجو كان مضطرباً حقاً، فقد كانت كارولين توشك على الانفجار من فرط الغيرة، وكانت في الوقت نفسه تعامل إليسا بطريقة مهذبة ولكنها قاطعة كالسيف.

أما إليسا فكانت أكثر صراحة وخشونة في معاملتها لكارولين، فقد كانت واثقة من نفسها ومن الحب المتبادل بينها وبين كريل، وكانت تعرف أنها دخيلة وأنها مخطئة ببقائها في القصر وأنها ستحطم حياة زوجية، ولكنها لم تكن مهتمة بشيء من هذا، فلم يكن لديها من التربية العالية أو الحسب الرفيع أو المبادئ المثالية ما يوقفها عند حدها، فقد كان كل همها أن تسعد ولو على حساب الآخرين، وكان أمياس يقضي معها معظم أوقاته في أثناء رسم اللوحة وفي فترات الفراغ.

أما علاقته بأنجيلا وارين فكانت تضطرب بين الصفاء والعبث الصبياني والمداعبات والمشاجرات وتبادل الألفاظ الحادة ثم عودة الصفاء، وهكذا حتى قرر في النهاية إلحاقها بمدرسة داخلية. أما الآنسة ويليامز فكان يقول لي عنها: "هذه المرأة تكرهنني كما تكره الموت، فهي تجلس مزمومة الشفتين دائماً تنظر إليّ باحتقار شديد كأنني حشرة خبيثة، تلك اللعينة

عدوة الرجال"... ثم أردف قائلاً: "اللعنة على النساء جميعاً، إذا أراد الرجل أن ينعم بالسكينة والسلام فيجب أن يعيش بعيداً عنهن"! فقلت له: "ما كان ينبغي لك أن تتزوج، فأنت بطبيعتك آخر من يصلح للحياة الزوجية". فقال إن الحديث في ذلك الموضع جاء بعد فوات أوانه وإن كارولين سوف تغتبط بالخلاص منه، وكانت تلك أول مرة أدرك فيها أنه ينوي الانفصال عنها، فقلت له: "إذن فعلاقتك بهذه الفتاة الحسناء، إليسا، جادة كل الجد هذه المرة؟"، فغمغم قائلاً: "إنها جميلة، أليس كذلك؟ لكنني أتمنى أحيانا لو أنني لم أرَها". فقلت جاداً: "اسمع يا صديقي ينبغي عليك أن تتحكم في عواطفك وأن تكف عن هذه العلاقات بالنساء"، فنظر إليّ ضاحكاً وقال: "من السهل عليك أن تتحدث وتنصح... على كل حال سوف ينتهي كل شيء على خير وستكون هذه الصورة من أروع أعمالي".

وظلت حالة التوتر قائمة حتى بلغَت ذروتها في ظهر اليوم السابع عشر من سبتمبر، أي قبل المأساة بيوم. وكنا جميعاً نتناول طعام الغداء، وكانت إليسا توجه الحديث الضاحك العابث إلى أمياس فقط وكأننا غير حاضرين معها، وكانت كارولين توجه إلينا حديثها الناعم الذي تبدو كلماته عادية ولكنها تقطع كالسكين، وكانت تتحدث بطريقة غير مباشرة عن استهتار بعض الفتيات وعن الأصل الحقير الذي يلوّن تصرفات صاحبه بالشر والسوء.

ثم انتقلنا بعد طعام الغداء إلى قاعة الاستقبال، وهناك أعربتُ عن إعجابي بتحفة جميلة من خشب الزان المحفور المصقول، فقالت كارولين بهدوء: "إنها صناعة مثّال نرويجي

شاب، وقد أعجبت أنا وأمياس ببراعته، وأعتقد أننا سنزوره حين نقضي جانباً من فصل الصيف الآتي في النرويج". وكان هدوء حديثها وما يدل عليه من ثقة تامة ببقائها مع أمياس أكثر مما تطيق إليسا التي ما كانت لتقبل أن تهزم في أية محادثة، ومن ثم قالت بعد فترة صمت: "يمكن أن تبدو الغرفة أجمل بكثير لو أخليناها من بعض الأشياء السمجة التي لا معنى لها، وأعتقد أنني حين أقيم هنا سأزيل منها كل السخافات والنفايات، وسأضع على النوافذ أستاراً في لون النحاس فإذا انعكسَت عليها شمس الأصيل بدت في لون الذهب، فما رأيك يا سيد فيليب بليك؟"، وقبل أن أجيب قالت كارولين بصوت ناعم ولكنه أحد من السيف: "أتنوين شراء القصر يا إليسا؟"، فقالت إليسا: "ليس من الضروري أن أشتريه كي أقيم فيه". فقالت كارولين بصوت لا أثر فيه للرقة هذه المرة: "إذن ماذا تعنين؟"، فضحكت إليسا بوقاحة وقالت: "هل من الضروري أن نتظاهر بالغباء يا كارولين؟ أنت تعرفين ما أعني تماماً". فقالت لها: "وإذا كنت لا أعرف؟"، فردت إليسا قائلة: "لا تكوني كالنعامة التي تطمر رأسها في الرمال. أنت تعرفين جيداً أنني وأمياس يحب بعضنا بعضاً، وليس هذا قصرك بل هو قصره، وبعد أن يتم زواجنا سأعيش فيه". قالت كارولين بهدوء: "يبدو أنك مجنونة يا إليسا". فقالت إليسا: "لا يا عزيزتي، أنا عاقلة جداً، ويحسن بك أن تعترفي بالواقع وتحرري أمياس من قيد الزواج بك".

ردت عليها كارولين قائلة: "أنا لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين". وفي تلك اللحظة دخل أمياس الغرفة فقالت لها إليسا: "إذا كنت لا تصدقين فهذا أمياس فاسأليه". فقالت له كارولين:

"أمياس، إليسا تزعم أنك ستتزوج بها، فهل هذا صحيح؟"، فاضطرب أمياس المسكين وبدا كالسمكة في الشبكة، ثم التفت إلى إليسا وقال بعنف: "ما معنى هذا بالله عليكِ؟ ألا تعرفين كيف تمسكين لسانك؟"، فقالت له كارولين: "إذن فالأمر صحيح". فقال وهو يزداد اضطراباً: "أنا لا أريد أن أناقش الموضوع الآن". فقالت كارولين: "ولكني أريد مناقشته الآن". فتدخلت إليسا في الحديث قائلة: "أظن يا أمياس أن من حقها أن تعرف الحقيقة". فقالت كارولين بهدوء: حقاً يا أمياس؟

ولما ازداد اضطراب أمياس وشعوره بحرج الموقف أردفت هي قائلة: "أرجو منك أن تصارحني، فمن حقي أن أعرف". فقال بصوت الإنسان الذي لا يجد بُداً من الاعتراف: "نعم، ما تقوله إليسا صحيح، ولكنني لا أريد أن أناقش الأمر الآن". ثم غادر الغرفة، وغادرتها أنا وراءه لأني أبيت أن أظل في ذلك الجو المضطرب مع المرأتين، وفي الشرفة سمعته يسب ويلعن بعنف، ثم قال لي: لماذا لم تمسك تلك اللعينة لسانها وتكتم السر حتى أفرغ على الأقل من رسم اللوحة؟ هذه اللوحة هي التي تهمني الآن يا فيليب فهي أروع إنتاج فني، وأنا لن أسمع لامرأتين غيورتين أن تحرماني من إتمامها. ثم هدأ فجأة وقال: النساء حمقاوات لا يفهمن شيئاً.

فقلت له باسماً: لكنك أنت الذي جلبت على نفسك كل ذلك يا صديقي.

- أنا أعرف ذلك، ولكن يجب أن تعلم أن أيّ إنسان كفيل بالوقوع في غرامها إذا نظرت إليه تلك الشيطانة الحسناء، بل إن على كارولين أن تلتمس العذر لي.

- ولكن لا تنسَ واجبك نحو ابنتك الطفلة يا أمياس.

فأمسك ذراعي وقال: أنا أعرف أنك تريد لي الخير يا فيليب، فأرجو أن تخفف من تأنيبك لي فأنا أعرف كيف أسوي أموري في النهاية، وثق أن كل شيء سينتهي على خير.

هكذا كان أمياس متفائلاً دائماً مبتهجاً دائماً، ولا أذكر هل تبادلنا حديثاً آخر أم لا، ولكنني أذكر أن كارولين أقبلت إلى الشرفة وهي أتم ما تكون هدوءاً وثباتاً وقالت لأمياس بصوت عادي: فلتستعدّ للذهاب إلى ميرديث، ولا تنسَ أنه دعانا لشرب الشاي في بيته بعد ظهر اليوم.

فنظر إليها دهشاً ثم قال متلعثماً: نعم، نعم. لقد نسيت، ولكننا سنذهب طبعاً.

وعندما غادر أمياس الشرفة لارتداء ملابس الخروج التقطت كارولين بعض الأزهار من آنية الزهور بالشرفة، ثم استدارت إليّ وراحت تتحدث. لقد تحدثت طويلاً عن الجو وعن احتمال الذهاب معاً إلى صيد السمك إذا ظل الجو صافياً هكذا، وقد عجبت لهدوئها المفاجئ وتوجست شراً. وكان ينبغي في تلك اللحظة أن أكون على حذر وأن أدرك أنها ولا شك قررت أن تقضي على أمياس وأن هذا القرار هو سر هدوئها المفاجئ، فقد كنت دائماً أعرف أن كارولين امرأة شديدة الخطر رغم ما يبدو عليها من رقة وجاذبية أحياناً، ولكنني بحماقتي ظننت أنها خضعَت للأمر الواقع وأنها سوف تستسلم لنصيبها في الحياة.

ومضينا في الطريق إلى أخي ميرديث، كارولين وأنجيلا في المقدمة وأمياس وأنا ثم إليسا بمفردها تسير شامخة الرأس

باسمة، ووصلنا إلى بيت ميرديث، ولا أذكر شيئاً من الحديث الذي دار في أثناء تناولنا الشاي ولكني أذكر أن ميرديث لاحظ اضطراب الموقف وعرف شيئاً مما سيحدث بين كارولين وأمياس، فانفرد بي بعد الفراغ من الشاي وقال لي: أؤكد لك أنه سيتزوج بهذه الفتاة في أقرب فرصة.

- ولكن كيف يترك زوجته وابنته ليتزوج بفتاة تصغره بعشرين عاماً؟

وانتهت محادثتنا عند هذا الحد. وكنت أعرف أن كارولين بعد طلاقها سوف تتزوج بميرديث الذي ظل مخلصاً لحبها كل هذه السنوات. والعجيب أني لا أتذكر بالتفصيل ماذا حدث في غرفة المعمل فقد كنت دائماً أضيق بحديث ميرديث عن هوايته في استخراج العقاقير من النباتات الطبية، ومن ثم وقفت معهم مستغرقاً في أفكاري الخاصة، ولهذا لم أرَ كارولين وهي تختلس كمية سم الكونين، ولكنني أذكر أن ميرديث بعد مغادرتنا غرفة المعمل إلى غرفة المكتبة قرأ لنا فصلاً ممتعاً رائعاً عن مأساة سقراط واللحظات الأخيرة من حياته بعد أن أُعطي كأس الكونين ليشربه.

وليس هناك ما يستحق التسجيل من أحداث تلك الليلة، ولكنني أذكر أن أنجيلا تشاجرت بعنف مع أمياس قبل أن تأوي إلى الفراش بشأن قراره بإلحاقها بمدرسة داخلية، وأسرعت الآنسة ويليامز وراء تلميذتها لتهدّئ من ثورتها، وقد غادرت كارولين الغرفة إلى غرفة نومها وذهب أمياس وإليسا إلى الحديقة، أما أنا فقد سرت بمفردي في سكون الليل.

وفي اليوم التالي هبطت إلى قاعة الطعام في ساعة متأخرة من الصباح، ولم يكن بها أحد فتناولت الإفطار بمفردي وتجولت قليلاً، ورأيت الآنسة ويليامز تبحث هنا وهناك عن أنجيلا، ثم عدت إلى صالة الطابق الأول حيث سمعت مشاجرة شديدة كانت دائرة بين أمياس وزوجته في غرفة المكتبة، وقد سمعتها تقول بوضوح وبنفور شديد: هكذا أنت مع النساء دائماً، سوف أقتلك في يوم ما. فسمعت أمياس يرد عليها قائلاً: لا تكوني حمقاء يا كارولين. فقالت: بل أنا أعني ما أقول.

ولم أشَأ أن أسمع أكثر من ذلك فغادرت الصالة إلى الشرفة الكبيرة حيث رأيت إليسا جالسة على مقعد مستطيل تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة، وكانت النافذة مفتوحة، ولهذا أعتقد أنها سمعَت كل كلمة دارت بين الزوجين. ولكنها حين رأتني نهضَت مسرعة وأقبلت نحوي باسمة وقالت: "الجو جميل في هذا اليوم"، فيا لها من فتاة قاسية لا ترحم! تتغزل في جمال الجو في حين الخصومة دائرة بين الزوجين داخل القصر.

وبقينا في الشرفة بضع دقائق نتحدث، ثم جاء كريل مقبلاً نحونا مضطرم الوجه، فأمسك بكتف إليسا في شيء من العنف وقال لها: هيا بنا، فقد آن وقت الرسم. أنا أريد أن أفرغ من الصورة اليوم. فقالت له: حسناً، سوف آتي بسترتي الصوفية لأضعها على أكتافي، فالهواء بارد في حديقة البحر.

وحين دخلَت القصر قال لي أمياس: "هؤلاء النساء..." ولم يزِد، وبقينا صامتَين حتى عادت إليسا فمضت معه إلى حديقة البَحر ودخلت أنا إلى القصر، ورأيت كارولين واقفة في الصالة في شبه ذهول حتى خُيل إليّ أنها لم ترَني، وقد سمعتها تقول: "يا

للقسوة، يا للاستهتار!"، ثم صعدت إلى الطابق الثاني دون أن يبدو عليها أنها رأتني أو شعرَت بي وكأنما هي مشغولة الذهن بتدبير شيء. وأعتقد، وإن كان ليس من حقي أن أقول ذلك، أنها صعدَت لتحضر السم الذي قررَت أن تقتل به زوجها.

وفي تلك اللحظة رنّ جرس الهاتف، فلم أنتظر حتى يرد عليه أحد الخدم وتناولت السماعة فإذا به أخي ميرديث يخبرني بأمر اختفاء كمية من سم الكونين من معمله، ولست بحاجة لأن أعيد ما قلته بهذا الصدد بل يكفي القول إنني طلبت من ميرديث الحضور فوراً، ثم ذهبت إلى شاطئ الخليج لألتقي به ومررت في الطريق بسور حديقة البحر حيث سمعت أمياس وإليسا يتبادلان الحديث في بهجة وانطلاق ومرح. كان أمياس يقول إن الجو في ذلك اليوم حار بشكل عجيب بالنسبة لشهر سبتمبر، فقالت له إليسا إن الهواء البارد الذي يهب عليها من البحر جعل عضلاتها تتيبّس وهي جالسة قبالته بغير حراك، ثم أردفت قائلة: ألا يمكن يا حبيبي أن تدعني أستريح قليلاً؟ فسمعت أمياس يصيح بها: لا، لا. ابقي كما أنت، فأنا أسير سيراً حسناً في اللوحة وأؤكد لكِ أنها ستكون رائعة، فلا تقطعي حماسي للعمل.

ثم وصلت إلى شاطئ الخليج حيث رأيت ميرديث يغادر الزورق، وأخذت أتحدث معه بشأن السم المسروق، وحين تأكدت تماماً من أن كمية سم الكونين قد سُرقت من معمله حقاً قلت له: لا بد أن تكون كارولين هي السارقة لكي تقضي على إليسا وتحتفظ بزوجها.

ولكن ميرديث رفض أن يصدق أن تهبط كارولين إلى حد ارتكاب الجريمة، وقال إنه من المرجح أن تكون إليسا هي

السارقة. وهكذا بقينا نتجادل، ثم قررنا أن نتحرى الأمر بروية وهدوء وأن ينفرد كل منا في الوقت المناسب بكارولين وإليسا لمحاولة استدراجهما أو تحذيرهما من مغبة هذا العمل. وقد تحدثنا في ذلك الأمر ونحن صاعدان في الممر إلى القصر، وعندما اقتربنا من سور حديقة البحر سمعنا ما يشبه المشاجرة بين أمياس وكارولين في الحديقة، وقد سمعنا كارولين تقول لزوجها: "أنت قاس على الفتاة أكثر مما ينبغي"، ثم إذا بباب الحديقة يُفتَح وتخرج كارولين مضطربة الوجه، ثم تبتسم لنا وتقول إنها كانت تتناقش مع أمياس بشأن إلحاق أنجيلا بالمدرسة وإنه مصرّ على رأيه.

وفي تلك اللحظة أقبلَت إليسا من ناحية القصر حاملة على ذراعها معطفاً خفيفاً من الصوف الأحمر، فلما رآها أمياس قال لها: "عودي إلى مكانك لأواصل الرسم فأنا لا أريد أن أضيع الوقت"، ثم عاد إلى حامل الرسم، وقد لاحظت أنه يسير مترنحاً بعض الشيء فخطر لي أنه قد أسرف في الشراب، ثم سمعته يقول متأففاً: لماذا لا توجد هنا زجاجات مثلّجة بدلاً من تلك الساخنة الرديئة المذاق. فقالت له كارولين: سوف آتيك بزجاجة من ثلاجة القصر. فغمغم أمياس قائلاً: شكراً.

ثم أغلقت كارولين باب الحديقة وصعدت معنا إلى القصر، وهناك دخلَت هي وجلست أنا وميرديث في الشرفة، وبعد خمس دقائق أحضرت لنا أنجيلا زجاجتين وبعض الأقداح، وبينما نحن نشرب رأينا كارولين وهي تمضي بزجاجة مثلجة قائلة إنها ستحملها إلى زوجها، فعرض عليها ميرديث أن يمضي بها إلى أمياس بدلاً منها لكنها أصرّت على أن تقوم هي بخدمته.

وقد خطر لي -لحماقتي- أن إصرارها ذلك يرجع إلى شدة غيرتها وإلى رغبتها في أن تفاجئ زوجها بين الحين والآخر وهو منفرد بإليسا في حديقة البحر. وسارت منحدرة في الممر المتعرج وراقبها ميرديث برهة، أما أنجيلا فقد كانت تلحّ أن أصحبها إلى السباحة في البحر، ومن ثم ذهبت معها بعد أن قلت لميرديث عن موضوع اختفاء سم الكونين: سوف نواصل الحديث في الموضوع بعد الغداء.

وقضيت فترة في السباحة، وقد قررت في نفسي أن أتكلم بعد الغداء مع كارولين في موضوع السم المختفي، ذلك لأنني تأكدت حينذاك من أنها هي التي سرقَت السم وأنه ليس هناك ما يدعو إليسا إلى ارتكاب أية جريمة ما دامت واثقة من أنها هي المنتصرة في المعركة وأن أمياس على استعداد للانفصال عن زوجته والزواج بها.

ثم سمعنا رنين جرس الغداء فانطلقت مع أنجيلا مسرعَين إلى القصر، وهناك وجدنا الجميع جالسين إلى مائدة الطعام فيما عدا أمياس الذي قال إنه سيبقى ليفرغ من رسم اللوحة. وفرغنا من تناول الغداء وجلسنا نشرب القهوة في الشرفة. وأنا أحاول الآن أن أذكر كيف كانت حالة كارولين في تلك الفترة، وإنه لمن العجيب أن أذكر أنها كانت في حالة هدوء تام وكأنها لم تقتل منذ لحظات رجلاً زوجاً وأباً، ولهذا السبب أنا أزداد شعوراً بالحقد عليها والكراهية لها، فلو أنها قتلَت أمياس بمسدس في ساعة غضب لالتمست لها بعض العذر، أما أن تدبر لمقتله بالسم ثم تتناول الغداء بهدوء، بل وبشهية، ثم تجلس معنا في الشرفة وتشرب القهوة دون أن ترتعد لها يد أو يطرف لها جفن فهذا ما

لا يقدر عليه إلا شيطان في صورة امرأة.

ونهضَت أخيراً وقالت بهدوئها القاتل إنها ستحمل القهوة إلى أمياس، ستحملها إليه وهي موقنة تماماً أنه ميت! وذهبت الآنسة ويليامز معها لتبحث عن صديرية صوف نسيتها أنجيلا على الشاطئ، وبعد اختفائهما في الممر نهض ميرديث وسار وراءهما، وبينما أنا أهمّ باللحاق به إذا به يعود مهرولاً مضطرباً ويقول: "يجب استدعاء طبيب حالاً فأمياس في حالة خطيرة". فوثبت واقفاً وهتفت: ماذا به؟ مات؟

وعندئذ دوّت صيحة مفزعة رهيبة أطلقتها إليسا، ثم إذا هي تولول قائلة: "مات، مات، مات"... ثم انطلقت تعدو بسرعة عجيبة كالغزال الجريح أو كرمز الغضب والانتقام، وقال ميرديث لاهثاً: أسرع وراءها، فلا يدري أحد ماذا يمكن أن تفعل تلك الفتاة، وسوف أستدعي طبيباً بالهاتف حالاً.

فأسرعت وراءها، وأعتقد أنني لو لم ألحق بها لقتلت كارولين بيديها، فأنا لم أرَ في حياتي امرأة على مثل هذا الحزن والغضب والثورة والرغبة في الانتقام. لقد كانت امرأة سوقية عنيفة حُرمت من حبيبها بالموت، ولو أُتيحت لها الفرصة لمزقت وجه كارولين بأظافرها ولأنشبت أسنانها في عنقها ولألقت بها من فوق سور الحديقة إلى البحر! واستطاعت الآنسة ويليامز بحزمها أن تهدئ من ثورتها، فهدأت إليسا أخيراً ووقفت ترتعد وتلهث وتشهق.

أما كارولين فقد وقفَت ثابتة هادئة، ويمكن القول إنها كانت ذاهلة أيضاً، ولكنني أعتقد أنها لم تكن ذاهلة حقاً وإن

كانت عيناها تنمّان عن هذا الذهول والخوف. وذهبت إليها وقلت لها بصوت خافت: أيتها القاتلة الملعونة، كيف تقتلين أحب أصدقائي؟!

فتراجعت فزِعة وقالت: كلا، كلا، لقد قتل نفسه.

فنظرت إلى عينيها طويلاً وقلت: قولي هذا لرجال الشرطة فلن يصدقكِ أحد.

وقد قالت هذا ولم يصدّقها أحد.

* * *

الفصل التاسع

كتب ميرديث يقول عن المأساة:

أنا شخصياً لا زلت أعتقد أن أمياس كريل مات منتحراً، ولا تسألني لماذا أو كيف، فأنا لن أؤمن في يوم من الأيام أن كارولين ارتكبت جريمة قتل، وكذلك ليس هناك أيّ دافع يبرر قتل أمياس على يد واحد من الأشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين في أثناء وقوع المأساة، وأياً كان الأمر فأنا سأسرد الحقائق كما أتذكرها.

أذكر أولاً تلك الحادثة التي دارت بيني وبين كارولين قبل المأساة ببضعة أسابيع، أي عندما قامت إليسا غرير بزيارة أمياس في قصره أول مرة. وكانت كارولين تعرف عن يقين مدى حبي لها واستعدادي للتضحية من أجلها وانتهاز كل فرصة لخدمتها والتسرية عنه وتخفيف أحزانها. وقد دُهشت حين سألتني فجأة إن كنت أعتقد أن أمياس يحب تلك الفتاة حقاً، فقلت: أعتقد أنه مهتم برسم لوحة فنية لها.

- لا، لا بل هو يهيم بها غراماً.

- إنها جميلة وجذابة، هذا صحيح، ولكنني أعرف أن

أمياس برغم علاقاته المتعددة لا يحب أحداً غيرك يا كارولين، فأنت التي تملئين قلبه وحياته فقط يا كارولين.

- هذا ما كنت أعتقده دائماً.

- وإلى الآن.

فهزت رأسها وقالت: ولكنني خائفة يا ميرديث هذه المرة. نعم، أنا خائفة، فتلك الفتاة تحب أمياس حباً حقيقياً وهذا ما أشعر به، وهي شابة متفانية في الحب، ويبدو أنه الحب الأول الحقيقي في حياتها ولهذا أشعر أن الأمر هذه المرة خطير بالفعل. ثم أردفت قائلة: أنا في الرابعة والثلاثين من عمري يا ميرديث، وقد تزوجت أمياس منذ عشرة أعوام ولكني لا أكاد أُذكر -من ناحية الجمال والجاذبية- مع تلك الفتاة التي تتمتع بكل شيء، بالشباب والجمال والمال والعاطفة.

ولم تلبث إليسا بعد تلك الزيارة الأولى أن عادت إلى العاصمة ولحق أمياس بها، ثم نسيت أنا كل شيء عن الموضوع تقريباً إلى أن سمعت أن إليسا عادت مرة أخرى للإقامة مع أمياس في قصر ألدربري وذلك لكي يفرغ من رسم اللوحة التي بدأها في أثناء زيارتها الأولى.

وأذكر أنني حدثتك بما دار بيني وبين أمياس ثم إليسا من حديث في ذلك الموضوع، لكنني لم أستطع أن أتبادل الحديث مع كارولين على انفراد إلاّ فترة وجيزة، وذلك حين قالت لي إن كل شيء بالنسبة لها قد انتهى وإنها هي قد انتهت أيضاً، ولذا أعتقد تماماً أنها اختلست كمية من سم الكونين بعد محاضرتي الحمقاء عنه، لا لتقتل به أحداً بل لتنتحر به.

لكن يبدو لي أن أمياس اكتشف الحقيقة، اكتشف أن زوجته استولت على كمية من مخدر سام لتنتحر به فاستيقظ ضميره وقرر أن ينتحر هو بدلاً منها. لماذا؟ لأنه رأى نفسه بين أمرين أحلاهما مرّ، فهو لا يستطيع الحياة دون إليسا بعد أن تمكن حبها من قلبه، ثم هو لن يستطيع أن يهجر زوجته حتى لا يدفعها إلى الانتحار بعد أن رأى بنفسه عزمها عليه، فماذا يفعل؟ لم يكن أمامه إلا أن يريح نفسه بالموت.

ولكنه لم ينتحر إلا بعد أن فرغ، أو كاد، من رسم اللوحة التي كان يهتم بها في ساعاته الأخيرة أشد الاهتمام. وأنا أعترف أن في تلك النظرية ثغرات عديدة طبعاً، فمثلاً لماذا لم نجد على زجاجة الكونين في غرفة نوم كارولين غير بصمات أصابعها؟ هل يمكن أن تكون بصمات أمياس قد أُزيلت بسبب وضع الزجاجة بين الملابس القديمة ثم ارتسمت بصمات أصابع كارولين عليها حين أسرعت بعد وفاة أمياس لترى ماذا حل بالزجاجة؟ ربما.

ولعل موقف كارولين في أثناء المحاكمة يؤيد نظريتي هذه بعض التأييد، فقد شعرت أنها هي التي دفعت بزوجها إلى الانتحار وأنها هي التي أعدت له المادة السامة التي انتحر بها، ومن ثم قررَت أن تدفع الثمن وأن تلحق به. أما عن مشاعري وتصرفاتي الخاصة فأقول إنني نمت مضطرباً بعد انصراف الجميع عقب تناولهم الشاي في بيتي، نمت مضطرباً بعد أن حاولت أن أفكر في وسيلة أو في أخرى أنقذ بها الموقف بين كريل وزوجته.

واستيقظت في الصباح الباكر في نحو السادسة فشربت الشاي، ولكنني وجدت رأسي ثقيلاً بسبب اضطراب نومي فنمت

ثانية حتى الساعة التاسعة والنصف صباحاً، وعندئذ شعرت كأن شخصاً يتحرك في الغرفة التي تقع أسفل غرفتي مباشرة، وهي غرفة المعمل. وأستطيع القول أن تلك الحركة قد تكون ناتجة عن دخول قطة إلى المعمل لأنني حين ارتديت ملابسي ونزلت إلى غرفة المعمل وفتحت بابها بمفتاحي الخاص وجدت أنني أهملت إغلاق النافذة كما ينبغي في اليوم السابق، ومصراع النافذة كما تعلم من النوع الذي يرتفع وينخفض عند الفتح والغلق، وقد وجدت فتحة في النافذة تكفي لدخول قطة.

وبينما أنا أطوف بنظراتي في جوانب المعمل لاحظت أن زجاجة الكونين بارزة قليلاً عن صف الزجاجات فوق الرف، وحين رفعت يدي لأرجعها إلى مكانها رأيت أن الكمية التي فيها أقل من النصف رغم أنها كانت في اليوم السابق ممتلئة تماماً! فشعرت أولاً بالاضطراب ثم بالخوف ثم بالفزع، ورحت أستجوب الخدم بعناية حتى أيقنت أن أحداً منهم لم يدخل غرفة المعمل. وأخيراً اتصلت هاتفياً بأخي فيليب أسأله النصيحة، فطلب مني أن أسرع إليه لأتبادل معه الحديث في ذلك الأمر الخطير. وبينما أنا في طريقي إلى الخليج لأستقلّ الزورق رأيت الآنسة ويليامز تبحث عن تلميذتها أنجيلا الهاربة منها، والتقيت بفيليب في الجانب الآخر من الخليج فسرنا معاً صاعدَين في الممر المتعرج إلى القصر. وبينما نحن نسير بجانب سياج حديقة البحر سمعت أمياس وكارولين يتبادلان الحديث بصوت مرتفع وكأنهما يتشاجران، وقد فهمت من العبارات الأخيرة أنها تتهمه بالقسوة على الفتاة وأنه يؤكد لها أن كل شيء قد انتهى وأنها لا بد أن ترحل، وفجأة فُتح باب الحديقة وأقبلت كارولين مضطربة، لكنها ابتسمت حين رأتنا وقالت إنها كانت تتناقش مع

أمياس بخصوص أنجيلا وإلحاقها بالمدرسة.

وفي تلك اللحظة أقبلت إليسا من ناحية القصر ممسكة بمعطف من الصوف الأحمر فهتف بها أمياس لكي تسرع وتجلس في مكانها حتى يفرغ من رسم اللوحة، ثم واصلنا نحن السير في طريقنا إلى القصر وجلستُ مع فيليب في الشرفة الكبيرة نتبادل الكلام في موضوع السم المختفي، ثم أقبلت أنجيلا تحمل إلينا زجاجتين وبعض الأقداح، وقد رأينا كارولين وهي تحمل زجاجة مثلجة إلى زوجها، ثم ذهب فيليب مع أنجيلا للسباحة.

وعندما بقيت بمفردي نهضت فسرت إلى الهضبة الصغيرة التي تشرف على حديقة البحر وجلست على مقعد خشبي أتسلى بالنظر من بعيد إلى أمياس وهو يرسم الخطوط الأخيرة لإليسا التي جلست على سور الحديقة، وكانت تضع على كتفيها المعطف الصوفي الأحمر لتحتمي به من هواء البحر البارد، وكان وجهها ينبض بالحياة والصحة والشباب وصوتها ينساب رنّاناً بالبهجة وهي تتبادل الحديث مع أمياس عن المستقبل الباسم الذي ينتظرهما معاً.

وأرجو ألاّ يخطر ببال أحد أنني كنت أسترق السمع، فقد كانت إليسا تراني من مكاني وقد لوّحت لي بذراعها قائلة إن أمياس شديد القسوة عليها في ذلك الصباح وإنه يرفض أن يتيح لها فترة للراحة من البقاء على ذلك الوضع ساعات متواصلة، فدمدم أمياس قائلاً إنه أيضاً يشعر بتيبس في عضلاته وإنه يخشى أن يكون قد أُصيب بروماتيزم عضلي.

ورنّ جرس الغداء فهبطت من الهضبة والتقيت بإليسا عند

باب الحديقة، وكان أمياس متهالكاً على المقعد المستطيل بجانب لوحة الرسم فظننته يستريح، فكثيراً ما رأيته على مثل تلك الحال، وقد قالت لي إليسا حين نظرت إليها مستفسراً: لن يأتي معنا لتناول الغداء. فقلت لنفسي: خيراً فعل.

وكان ينظر إليّ نظرات غريبة عجيبة كأنما يريد أن يقول شيئاً لكنه لا يستطيع، ولم أكن أدري أن المسكين في تلك اللحظة كان يُحتضر وأن الشلل يسري في كل عضلات جسمه حتى لسانه، وهكذا تركته مع إليسا ونحن نظن أنه بخير وأنه لن يلبث أن ينهض ويستأنف العمل في اللوحة.

وكانت إليسا المسكينة تثرثر معي وتضحك وهي لا تدري أنها لن ترى حبيبها مرة أخرى إلا جثة هامدة، وكانت كارولين طبيعية هادئة في أثناء تناول الغداء وبعده، وهذا ما يجعلني شديد الثقة ببراءتها، فأنا لا أظن أنه توجد في الدنيا امرأة تستطيع أن تبدو بمثل ذلك الهدوء والثبات وهي تعلم أن زوجها يحتضر بالسم الذي دسته له. لا، هذا في رأيي مستحيل.

ولما اكتشفَت بنفسها الوفاة بدت لي كأنها ذاهلة من فرط الصدمة، أما إليسا فكانت كالوحش الثائر الذي اختطفتَ منه طعامه وهو في أشد حالات الجوع، وقد أوشكَت أن تفتك بكارولين بعد أن اتهمتها بقتل أمياس لولا أن تدخل فيليب في الأمر كما قال لي، وتعاون مع الآنسة ويليامز على تهدئة ثائرتها. أما أنا فلا زلت أعتقد أن أمياس مات منتحراً، ولا تسألني لماذا فغالبية الناس يرتكبون أشياء لم تكن متوقَّعة منهم.

* * *

الفصل العاشر

هذه هي رواية الليدي ديتشام:

سوف أروي هنا القصة بكاملها من بدايتها منذ أن التقيت بأمياس كريل لأول مرة إلى نهايتها المفجعة. لقد رأيته أول مرة في أحد المعارض، كان واقفاً بجانب النافذة فرأيته وسألت أحدهم: مَن يكون هذا؟ فقال: هذه هو الرسام كريل.

وتعرفت عليه وتحدثت معه نحو عشر دقائق، ولا أدري على وجه التحديد كيف كانت مشاعري في تلك اللحظات، لكن يكفي أن أقول إن كل شيء بدا في عيني صغيراً ضئيلاً بجانب أمياس، فقد ملأ أفق حياتي فلم أعُد أرى أحداً غيره.

وبعد تلك المقابلة مباشرة ذهبت لرؤية جميع لوحاته المعروضة في متاحف لندن ومدينة ليدز، والتقيت به مرة ثانية وقلت له: لقد شاهدت جميع لوحاتك وأعتقد أنها رائعة. أريد أن ترسمني بريشتك.

- يبدو لي أنك طفلة عجيبة.

- أنا موفورة الثراء كما تعلم، وأستطيع أن أدفع لك ما تريد من أجر.

- لماذا تتلهفين إلى هذا الحد لكي أرسمك؟

- لأنني أريد ذلك.

- أهو سبب معقول؟

- لقد تعودت أن أظفر بما أريد دائماً.

- آه، يا لك من طفلة حمقاء!

- هل سترسمني إذن؟

فراح يمعن النظر إلى وجهي ثم قال: نعم، سأجعل منك لوحة فنية، مهرجاناً للألوان. نعم، سأرسم أروع وأجمل وأبهى الألوان الضاحكة النابضة التي تصور أفراح والحياة.

- اتفقنا.

- ولكنني أحذرك يا إليسا، أنا أقع في حب التي أرسمها.

- أتمنى أن تفعل.

فنظر إليّ بدهشة وقد بدأ الحب يطلّ في عينيه فعلاً في تلك اللحظة. هكذا ببساطة جمع الحب بيننا بأقوى رباط! والتقينا ثانية بعد يوم أو اثنين فطلب مني أن أذهب معه إلى قصره في ألدربري لأنه يريد أن يرسمني في إطار معيَّن يجتمع فيه كل ما في الطبيعة من ألوان وبهاء، ثم قال: أنا رجل متزوج كما تعلمين وأحب زوجتي أشد الحب.

- إذن لا شك أنها جميلة ولطيفة ما دمت تحبها هكذا.

- جداً، والواقع أنني أحب التراب الذي تسير عليه،

ويجب أن تفهمي ذلك تماماً.

- حسناً، فهمت.

وبدأ اللوحة بعد أسبوع. وقد استقبلتني كارولين في أول الأمر بترحاب ومودّة ولكن بشيء من التحفظ الخفيّ، وأعتقد أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى خوفها منّي فأمياس لم يحاول أن يقول لي شيئاً لا يستطيع أن يقوله أمام زوجته، وكنت أنا أعاملها بأدب ورقة و... ولكننا في أعماق نفوسنا كنا نشعر بالقدَر المتربص لنا، وكان عليّ بعد عشرة أيام قضيتها في تلك الزيارة الأولى أن أعود إلى لندن فقلت له: ألم تفرغ من رسم اللوحة بعد؟

- ليس بعد.

- لماذا؟

- أنت تعرفين السبب يا إليسا، ولهذا يجب أن ترحلي حتى تهدأ مشاعري؛ فأنا لا أستطيع أن أفكر في الرسم، بل لا أستطيع أن أفكر في شيء آخر غيرك.

- حسناً، سأبتعد عنكَ إذا كان في ذلك إرضاء لك.

وعدت إلى لندن لكنه استدعاني بعد عشرة أيام، وكم كانت دهشتي وصدمتي حين رأيت حالته اليائسة ونحول جسمه في أثناء الأيام العشرة من الفراق، وقد قال لي حين رآني: لقد حذرتك يا إليسا فلا تلوميني.

- لن ألومك بل سأرحب بك.

لكن أمياس كان يشعر بالقلق من أجل الصورة فقال: أنا

أشعر تماماً بأنني سوف أرسم صورة لم يشهد لها عالَم الفن مثيلاً. أكاد أموت شوقاً إلى استئناف الرسم، المهم الآن أن أفرغ من الصورة في جو هادئ، وبعد ذلك سأخبر كارولين بكل شيء ثم نتفق على حل للمشكلة.

- أتعتقد أن كارولين ستمانع في الطلاق منك؟

- لا أظن، ولكن من يدري؟

- إذا كانت تحبك حقاً فيجب أن تعمل على إسعادك ولو على حساب آلامها.

- تلك كلمات تقال في الكتب والروايات ولكن الحقيقة غير ذلك. إن للطبيعة الإنسانية مخالب وأنياباً فلا تغفلي عن ذلك.

- ولكننا نعيش في عصر متحضر، والناس المتحضرون لا يستخدمون مخالبهم وأنيابهم لتحقيق أغراضهم.

فضحك وقال: ولكنها ستتعذب، فهل تعلمين يا إليسا معنى عذاب الزوجة المهجورة؟

فقلت: إذن لا تخبرها. لا تصارحها بما بيننا ولا داعي لأن تستمر علاقتنا إلى أبعد من ذلك.

- لا، لا، هذا مستحيل أيضاً. أنت لي يا إليسا، لي أمام الدنيا كلها، ولن يفرق بيننا أحد.

كان الجو في زيارتي الثانية تلك مضطرباً مشحوناً بالشكوك والارتياب والعداء الخفي والغيرة العمياء، ولم أرضَ عن ذلك

الجو بطبيعة الحال، فقد عشت عمري أبغض النفاق والمراوغة والتخفي، وقد ألححت كثيراً على أمياس كي نصارحها ولكنه كان يصر على الرفض.

والطريف في الموضوع أنه لم يكن مهتماً بهذا الأمر بل كان اهتمامه مركّزاً على اللوحة التي يعمل فيها، فرغم أنه كان ميالاً لكارولين وكارهاً لإيلامها فقد تركها تعاني عذاب الشكوك وراح يعمل في اللوحة كالمجنون، ولم أرَ فناناً وهو يعمل من قبل ولكنني حين رأيته في أثناء العمل علمت أنه فنان أصيل ملهَم.

وهكذا كان مستغرقاً في فنه محلقاً به بعيداً عن مشكلات الحياة الدائرة حوله والمطبقة عليه. لكن الموقف بالنسبة لي كان مختلفاً، كان موقفي حرجاً أشد ما يكون الحرج، فقد كانت كارولين تكرهني وتطعنني بعبارات ملتوية تبدو بريئة في الظاهر قاطعة كالسكين في حقيقتها، ولها العذر. وهكذا رأيت أن خير وسيلة لتخفيف حرج موقفي هي أن أواجه الأمر بصراحة، فقد حدث أن تحدثَت كارولين عن رحلة ستقوم بها مع أمياس في الصيف التالي إلى النرويج وكانت تتحدث بلهجة الواثقة من نفسها ومن زوجها، فغضبت لجو الخداع والنفاق الذي تعيش فيه ومن ثم صارحتها بالحقيقة، ولم يستطع أمياس إلا أن يؤيدني وينصرني عليها. ثم ذهبنا جميعاً لشرب الشاي في منزل ميرديث، وهناك رأيتها وهي تختلس كمية من سم الكونين من المعمل، وقد خطر لي حينئذ أنها ستنتحر به.

وفي صباح اليوم التالي سمعتها تتشاجر مع أمياس في غرفة المكتبة، وكنت جالسة في الشرفة تحت نافذة الغرفة مباشرة، وقد بدأ هو حديثه راجياً أن تكون عاقلة وأن ترضى بالأمر الواقع

وأن تتأكد أنه سيرعى مستقبلها ومستقبل طفلتها، ولكنها أبت إلا أن تثور عليه فهتف بها غاضباً: ليس هناك مفر من زواجي بإليسا سواء رضيت أم أبيت، ولن يمنعني من الزواج بها شيء فما نحن بأول زوجين يفترقان بالطلاق.

فقالت له كارولين عندئذ: افعل ما تريد فقد حذرتك.

- ماذا تعنين يا كارولين؟

- أعني أنك لي، لي وحدي، وأنا أفضّل أن أراكَ ميتاً على أن أسمح لامرأة أخرى أن تظفر بك، وإذا تماديت هكذا فسوت أقتلك يوماً ما.

وبعد برهة رأيت فيليب بليك يقبل إلى الشرفة فنهضت إليه حتى لا يسمع ما يجري في غرفة المكتبة، وبعد ذلك أقبل أمياس مضطرم الوجه فطلب مني أن أذهب معه لكي يفرغ من رسم اللوحة، فتوجهنا إلى حديقة البحر ولم يقُل شيئاً أكثر من أن كارولين ثائرة عليه ولكنه لا يريد أن يتحدث في ذلك الموضوع حتى يفرغ من اللوحة. وأذكر أنه قال لي بالحرف الواحد: اللوحة هي أهم شيء في حياتي الآن وسوف تكون أروع عمل فني قمت به، ولن أتراجع عن إتمامها حتى لو دفعت فيها كل هذا الثمن من الدموع.

وبعد نحو ساعة غادرت حديقة البحر لآتي بمعطفي الصوفي الأحمر لأضعه على كتفي، فقد كان هواء البحر يهب بارداً، وعندما عدت إلى الحديقة وجدت كارولين هناك ومعها فيليب وميرديث بليك، وعندئذ قال أمياس إنه في حاجة إلى شراب مثلج فوعدته كارولين بإرسال زجاجة مثلجة من القصر. وكانت

تتحدث بهدوء يدل على قوة أعصابها وبراعتها في التمثيل، ولا شك في ذلك فقد قررت في تلك اللحظة أن تأتي بالشراب المثلّج المسموم! ثم أحضرَت الزجاجة بعد عشر دقائق، وكان أمياس مشغولاً بالرسم فملأت له الكأس ووضعتها بجانبه، ولم يكن أحدنا يراقبها وهي تفعل ذلك فقد كان أمياس منهمكاً في عمله وكنت أنا حريصة على البقاء في الوضع المطلوب مني، وشرب أمياس الكأس فبدا على وجهه الامتعاض الشديد وقال إن للشراب مذاقاً مراً.

وبعد أربعين دقيقة تقريباً سمعت أمياس يشكو من تصلب في عضلاته وقال إنه يخشى أن يكون مصاباً برواماتيزم عضلي، وكان دائماً يعرب عن خوفه من المرض. وأخيراً رنّ جرس الغداء فتهالك جالساً على المقعد الخشبي المستطيل وقال إنه لن يتناول الغداء حتى يفرغ من رسم اللوحة، وأقبل ميرديث إلى باب الحديقة فتوجهت معه إلى القصر لأتناول الغداء تاركة أمياس يموت وأنا لا أدري. لم أرَ في حياتي رجلاً يحتضر وقد ظننته راقداً كعادته يستريح، آه لو علمت الحقيقة! إذن لاستدعيت طبيباً في الحال ولكان من الممكن إنقاذه، ولكن ما فائدة الندم؟

وبعد طعام الغداء وتناول القهوة في الشرفة ذهبَت كارولين مع الآنسة ويليامز، ذهبَت لتكتشف جثة زوجها الذي قتلته بيديها. وعندما علمت بالكارثة عرفت أنها هي القاتلة، وقد ظننت لأول وهلة أنها لم تقتله بالسم بل ذهبت وطعنته بسكين أو برصاصة مسدس. وكنت أريد أن أنشب أظافري في عنقها. كيف طاوعتها نفسها على قتله؟ كيف رضيَت أن تنتزع الحياة من

رجل كان ينبض بالحياة وبحبّ الحياة؟ أكلّ ذلك كي لا أظفر به دونها؟ امرأة رهيبة، امرأة لعينة حقيرة متوحشة! أنا أكرهها وأمقتها وأحقد عليها. ليتهم كانوا شنقوها، بل إن الشنق كان أقل ما يجب لعقابها، كم أمقتها حتى الآن!

* * *

الفصل الحادي عشر

هذه قصة المربية العجوز:

اسمي سيسيليا ويليامز، التحقت بالعمل لدي السيد كريل لأقوم بتربية الآنسة أنجيلا وارين وتدريسها، وكنت في الخامسة والأربعين من عمري يومذاك، وقد بدأت العمل في قصر ألدربري، وكان قصراً جميلاً تحيط به مزرعة لطيفة وكانت المزرعة من أملاك أسرة كريل منذ أجيال عديدة. وكان سكان القصر هم السيد والسيدة كريل وابنتهما كارلا التي كانت عند جدتها في أثناء وقوع المأساة، وأنجيلا وارين وكانت يوم التحاقي بالعمل صبية في الثالثة عشرة من عمرها، وثلاث خادمات علمت أنهن نشأن منذ طفولتهن في خدمة آل كريل.

وقد وجدت تلميذتي فتاة ذكية قادرة على فهم ما يُلقى إليها من دروس، لطيفة خفيفة الظل ولكنها عنيدة مدللة بسبب إسراف السيدة كريل في حبها والعناية بها. أما السيد كريل فقد علمت منذ اللحظة الأولى أنه رجل متقلب، ولست أدري كيف استطاعَت زوجته أن تحتمل الحياة معه رغم خياناته المتكررة لها طوال تلك السنوات. كما رأيت الآنسة إليسا غرير عند زيارتها الأولى في أول الصيف، وكان واضحاً لكل ذي عينين أن ثمة

علاقة حب بينها وبين كريل وأن مسألة رسم اللوحة ليست إلا ستاراً لإقامة الفتاة مع كريل في قصر ألدربري، وليس أدل على ذلك من أن كريل لم يرسم شيئاً في اللوحة في أثناء زيارتها الأولى، ولا شك أنه كان هناك ما يشغلهما في حديقة القصر عن مهمة الرسم.

كانت إليسا فتاة تافهة التفكير سوقية الطباع لا يهمها في الحياة إلا مظهرها وإعجاب الرجال بها، وأعتقد أن السيدة كريل كانت تبذل كل جهد لتخفي آلامها النفسية عن أنجيلا حتى لا تفسد سعادة الفتاة الصغيرة بأيّ ظل من الألم والتعاسة.

ثم عادت إليسا إلى لندن فشعرنا حينئذ كأن كابوساً ثقيلاً قد أُزيح عن أكتافنا، فقد كنا جميعاً حتى الخدم نشعر بالكراهية لها، إذ كانت من الأشخاص الذين يطلبون الكثير دون أن يكلفوا أنفسهم إلقاء كلمة شكر. ولكنها عادت إلى القصر بعد أسبوعين مع الأسف، وبدأ أمياس يرسم اللوحة في حماس جنوني، ولكنني مع ذلك عرفت أن علاقته بتلك الفتاة لن تكون كنزواته السابقة مع النساء.

وبلغت الأزمة ذروتها عندما تمادت تلك الفتاة إليسا في وقاحتها وجرأتها وصارحت كارولين بعزمها على الزواج بأمياس، ورغم أن أمياس كان غاضباً من صراحتها تلك فلم يستطع أن ينكر أو يتراجع وأعلن لزوجته أن ما قالته إليسا هو الحقيقة. وبعد ذاك المشهد العاصف حاولت أن أواسي كارولين فقالت لي: على كل حال يجب أن نتصرف في حياتنا كالمعتاد وكأن شيئاً لم يحدث، وسنذهب لتناول الشاي في بيت ميرديث بليك حسب الموعد المتفق عليه.

وذهبوا جميعهم إلى منزل السيد ميرديث بليك، ثم عادوا في نحو الساعة السادسة مساء. ولم أستطع الانفراد بالسيدة كريل في تلك الليلة ولكنني أذكر أنها كانت هادئة أكثر مما توقعت، وقد أوت إلى فراشها في ساعة مبكرة. لقد كانت تتعذب في صمت.

وفي صباح اليوم التالي، وكان يوماً جميلاً مشرقاً، وجدت بعد الإفطار صديرية أنجيلا ممزقة في غرفتها فحملتها ورحت أبحث عنها لأجعلها تخيطها كي تتعود على النظام والترتيب وخياطة ملابسها بنفسها، وقد بلغت في بحثي عنها مزرعة السيد ميرديث بليك لأنني كنت أعلم أن أنجيلا تعودت أن تعبر الخليج بأحد الزوارق بمفردها وتذهب إلى هناك لتأكل بعض ثمار التفاح الناضجة، وعندما عدت دون أن أعثر عليها رأيت السيدة كريل مع السيد فيليب والسيد ميرديث في شرفة القصر، وكانت السيدة كريل تقترح أن ترسل إلى الأخوين بعض الشراب المثلج. وقد ذهبت مع السيدة كريل إلى الثلاجة الموضوعة في غرفة صغيرة بالطابق الأول، وهناك رأينا أنجيلا تتناول زجاجة من الثلاجة، وكان يبدو على وجهها أنها ارتكبت شيئاً فقالت لها السيدة كريل: أريد زجاجة شراب مثلجة لأمضي بها إلى أمياس.

وأمسكت أنا بأنجيلا فعنفتها على هربها مني وطلبت منها أن ترتق الصديرية، والعجيب أنها استسلمت لتعنيفي في خضوع واستكانة ولم تكن تلك طبيعتها، ولكنها كانت مدركة خطأها وكان واضحاً على وجهها ذاك الإدراك. وعندما سألتها أين كانت قالت إنها كانت تسبح في الخليج، فقلت لها إنني لم أرَها هناك، فضحكت وتناولت الصديرية ووعدت بإصلاحها.

وحان موعد الغداء ولم يحضره كريل، وبعد الطعام وشرب القهوة قررت أن أذهب لإحضار صديرية أنجيلا التي تركتها على الشاطئ بعد سباحتها مع السيد فيليب بليك، فذهبت في الممر مع السيدة كريل التي قالت إنها ذاهبة لترى ما إذا كان زوجها محتاجاً إلى شيء، ولكنني ما كدت أتجاوز باب حديقة البحر حتى سمعت صيحتها وهي تناديني، فأسرعت إليها حيث رأيت أمياس جثة هامدة فوق المعقد بجانب حامل الرسم. وطلبت مني السيدة كريل أن أستدعي طبيباً فغادرت الحديقة إلى الممر مسرعة، وعندئذ التقيت بالسيد ميرديث بليك فكلفته باستدعاء الطبيب وعدت إلى السيدة كريل وأنا أشعر أنها أحوج ما تكون إلى من يقف بجانبها في تلك اللحظة.

تلك هي قصتي. ولكن الشيء الذي أخفيته عن الجميع (حتى السيدة كريل نفسها) هو أنني رأيتها عند عودتي إلى الحديقة بعد أن كلفت ميرديث بمهمة استدعاء الطبيب، رأيتها منهمكة في إزالة بصمات الأصابع بمنديلها عن الزجاجة ثم إذا هي تمسك بيد زوجها الميت وتضغط بأصابعه على الزجاجة، كل ذلك وهي متحفزة ترهف السمع ويبدو على وجهها الخوف الشديد.

تلك هي الحقيقة التي أخفيتها عن الجميع، وذلك هو السبب الذي جعلني أؤمن تماماً أن كارولين قتلت زوجها. ومع ذلك فأنا ألتمس لها العذر وأحمل لها في نفسي كل عطف وإشفاق، ويهمني أن تعلم كارلا تلك الحقيقة أيضاً لكي تستريح وتنسى المأساة تماماً.

* * *

الفصل الثاني عشر

كتبت الآنسة أنجيلا وارين تقول:

عزيزي السيد بوارو، ها أنا ذا أبرّ بوعدي لك وأكتبُ إليك كل ما يعلق بذاكرتي عن مأساة أختي كارولين وزوجها أمياس، والواقع أنني لم أكن أعلم ضآلة ما أذكره إلا بعد أن بدأت الكتابة. ولعلك تود أن تسألني عن شعوري نحو كارولين وأمياس في ذلك الحين؟ حسناً، كان شعوراً طبيعياً، فقد كنت أحب أختي كارولين كأعظم ما يكون الحب بين أخت وأخت شقيقة أو غير شقيقة، وكنت أميل إلى أمياس وأحبه كأخ أكبر أو كوالد، وذلك رغم المشادّات العنيفة التي كانت تقع بيننا كلما تمادى في إغاظتي وإثارتي. ولكنني في الوقت نفسه كنت أغار على أختي منه، وقد استنتجت الآن أنه كان يغار على امرأته مني أيضاً، وبالجملة لم أكن أفكر فيهما أو في علاقتي بهما بل كنت أشعر بهما كما يشعر الإنسان بأهله وذويه.

وحين أقبلت إليسا في أول زيارة لم أحفل بها أو أشغل نفسي بأمرها، فقد بدا لي من اللحظة الأولى أنها سوقية وجاهلة، بل أنا لم أفكر في أنها جميلة، وكل ما شعرت به نحوها أنها فتاة ثرية مثيرة للملل والنفور. ولم أعرف في الواقع حقيقة العلاقة

بينها وبين أمياس إلا في أثناء زيارتها الثانية الطويلة للقصر، فقد كنت يوماً في الشرفة بعد الغداء فسمعتها تتحدث مع أمياس في غرفة المكتبة عن موضوع زواجها به، وقد بدا ذلك التصريح عجيباً غريباً ومن ثم انتهزت أول فرصة وسألت أمياس في حديقة بيت ميرديث بعد الفراغ من تناول الشاي قائلة: لماذا تقول إليسا إنها ستتزوج بك؟ هذا مستحيل، فلا يمكن للمرء أن يتزوج باثنتين لأن هذا مخالف للقانون، أليس كذلك؟

فغضب أمياس وقال بحدة: ولكن كيف سمعت ذلك؟!

- سمعتها وهي تحدثك في غرفة المكتبة.

فازداد غضباً وقال إن الأوان قد آن فعلاً لإلحاقي بالمدرسة وإنه سيلحقني بها في أقرب فرصة حتى لا أسترق السمع، فقلت له بغضب إنني لم أكن أقصد أن أسترق السمع وإنه يتهمني بهذا ظلماً، وأخيراً ابتسم وقال لي إن ما سمعته لا يعدو أن يكون دعابة من جانب إليسا. ثم قلت لإليسا ونحن في طريق العودة إلى المنزل بعد انتهاء زيارتنا للسيد ميرديث بليك إنني سألت أمياس عن معنى قوله لها إنها ستتزوج به فقال إن الأمر لا يعدو أن يكون دعابة.

كنت أريد أن أغيظها ولكنها ابتسمت، ولم تعجبني ابتسامتها. ثم ذهبت إلى كارولين في غرفتها حيث كانت تستعد للهبوط إلى قاعة الطعام لتناول العشاء فسألتها: هل يمكن أن يتزوج أمياس بإليسا؟ وأنا أذكر إجابتها الحاسمة الأكيدة وكأنني أسمعها الآن: أمياس لن يتزوج إليسا أو غيرها إلا بعد وفاتي. وهدّأت إجابتها تلك من مخاوفي وأعادت الاطمئنان إلى نفسي،

ولكنني بقيت ساخطة على أمياس. وهكذا انتهزت فرصة إثارته لموضوع المدرسة فتشاجرت معه بعنف، ثم اندفعت أبكي إلى غرفة نومي.

ولا أذكر شيئاً مهمّاً مما حدث في صباح اليوم التالي قبل المأساة، ولكنني أذكر فقط أنني تجولت هنا وهناك وسبحت في الخليج، وأذكر تماماً إسراع ميرديث إلى الشرفة في اهتياج قائلاً إن أمياس مات، وأذكر انفعال إليسا وسقوط قدح القهوة من يدها وهي تطلق صيحة مريعة ثم تعدو بسرعة عجيبة في الممر إلى حديقة البحر، وأذكر أن القصر بعد ذلك ازدحم بأشخاص غرباء عديدين، وقد رفضوا أن أذهب لأرى أمياس وهو ميت ولكنني أسرعت إلى كارولين في غرفتها حيث كانت راقدة على الأريكة ممتقعة مريضة، فلما رأتني قبّلتني وطلبت مني أن أسرع بالابتعاد عن مسرح المأساة. وأخيراً أرسلوا بي إلى حيث كانت تقيم كارلا الصغيرة مع جدتها الليدي تريسليان، وقد استقبلتني الليدي تريسليان بحب وعطف وإشفاق، وبرغم حرص الجميع على إخفاء الحقيقة عنّي فقد علمت أن رجال الشرطة ألقوا القبض على أختي كارولين، وأذكر أنني مرضت من فرط الفزع والحزن. ثم سمعت فيما بعد أن أختي كانت بعد إلقاء القبض عليها شديدة القلق بشأني وأنها هي التي أصرت على ترحيلي إلى خارج إنكلترا قبل المحاكمة.

ومرة أخرى أقول إنني واثقة تماماً من أن أختي لم ترتكب تلك الجريمة. أقول ذلك واثقة ولكنني لا أستطيع أن أقدّم الدليل المادّي على براءتها. فليرحمها الله.

* * *

الفصل الثالث عشر

رفعَت كارلا لامرشان ابنة كارولين وأمياس رأسها عن الأوراق التي تحكي مأساة والديها في تفصيل ووضوح ثم قالت بصوت متعَب: لقد ازددت حيرة فوق حيرتي، فكل واحد من هؤلاء ينظر إلى أمي من زاوية مختلفة، ولكن الحقائق واحدة وكلهم متفقون عليها. أجل، هم جميعاً يعتقدون أن أمي مدانة، فيما عدا أنجيلا ولها العذر لأنها أختها، أما ميرديث فهو يحاول أن يخفي إدانة أمي على غير جدوى. وكذلك لم تستطع أنجيلا، رغم ذكائها وقوة تفكيرها، أن تقدم لنا سبباً واحداً يبرر إيمانها ببراءة أمي.

- أهذا ما استقر عليه رأيكِ بعد قراءة التقارير؟

- نعم، وما من شك في أن هؤلاء الأشخاص الخمسة قد أجمعوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على إدانة أمي، لأنها إذا لم تكن هي التي ارتكبَت الجريمة فلا بد أن يكون مرتكبها واحداً منهم.

فابتسم بوارو وقال: آه، هذا رأي مثير. هل يمكن أن توضحيه لي؟

- أستطيع أن أقدم إليكَ احتمالات لا دليل عليها، فمثلاً فيليب بليك سمسار مالي، وقد كان من أخلص أصدقاء أبي ومن المحتمل أن يكون أبي قد أقرضه أو أودع لديه مبلغاً ضخماً، والمعروف أن الفنانين مستهترون من الناحية المالية دائماً. ولعل فيليب تحت ظروف طارئة أضاع المال الذي اؤتمن عليه وخشي من الفضيحة التي لا نجاة منها إلا بموت أبي... هذه بعض الأفكار التي دارت برأسي عن ذلك الاحتمال.

فأومأ بوارو برأسه وقال: لا بأس، وما الاحتمال الثاني؟

- إليسا غرير. إنها فتاة لا تتورع عن أيّ شيء، ولعلها تكون قد اختلسَت السم كي تقتل به أمي حين أيقنت أنها لن توافق على الطلاق من أبي بأية حال من الأحوال، وفتاة مثل إليسا لا تقبل أن تعيش على هامش حياة رجل متزوج إلى ما لا نهاية ولا ترضى بأقل من الزواج بذلك الرجل الذي تحبه، ومن ثم فهي لا تكفّ عن الحديث عن الزواج والمستقبل. أقول إنها اختلسَت السمّ لتقتل به أمي فكانت النتيجة أن مات أبي بسبب خطأ ارتكبَته دون أن تدري.

ابتسم بوارو وقال: احتمال لا بأس به أيضاً، وما الثالث؟

- ميرديث.

- حتى ميرديث بليك أدخلتِه في نطاق الاحتمالات؟

- ولمَ لا؟ هل يوجد في الدنيا إنسان معصوم عن ارتكاب جريمة قتل؟ إنه يبدو من النوع الذي لا يتردد كثيراً في ارتكاب جريمة قتل، فهو ضيق التفكير محدود الخيال بطيء متردد موضع ضحك وسخرية للغير، ولعله في أعماق نفسه يشعر

بالسخط على ذلك كله. أضف إلى ذلك أن أبي تزوج الفتاة التي كان يتمنى الزواج بها ونجح أبي في حياته وظفر بالمال والشهرة، فعمد ميرديث إلى التنفيس عن كبته النفسي إلى تلك الهواية الخطيرة في استخراج العقاقير والسموم من النباتات والأعشاب. ولعله شغف بتلك الهواية لأنه كان يتمنى في قرارة نفسه أن يقتل شخصاً ما ذات يوم، ولعله لفت أنظار الجميع إلى سرقة السم حتى يبعد عن نفسه كل شبهة، ولكن الواقع هو أنه أقرب الناس إلى أخذ السم من معمله بنفسه، بل لعله أراد أيضاً أن يرسل بأمي إلى حبل المشنقة جزاء تفضيلها أبي عليه، وربما كان يقصد التعبير عن نفسه في كتابته عن الأشخاص الذين يرتكبون أشياء لم تكن متوقعة منهم وذلك عندما حاول أن يعلل يقينه بأن أبي مات منتحراً.

- أهناك احتمالات أخرى؟

- خطر ببالي أن الآنسة ويليامز قد تكون هي القاتلة حتى لا تفقد وظيفتها، ولكنني أستبعد هذا الاحتمال تماماً، فإذا كان بعض الناس يفقدون عقولهم ويرتكبون جرائم قتل بسبب قليل من المال فإن الآنسة ويليامز -كما يبدو من حديثك عنها ومن مذكراتها- ليست بالسيدة التي تهتم بالمال إلى حد ارتكاب الجرائم في سبيله. لا، لم يبقَ أمامي إلا أن أستسلم للأمر الواقع لأن تلك الاحتمالات كلها تكاد تكون في حكم المستحيل. أجل، لقد آمنت الآن أن أمي ليست بريئة كما أظن، ولم يبقَ أمامي إلا أن أفسخ خطبتي.

وتهدج صوتها قليلاً وهي تستطرد قائلة: أجل، لا تتعجب يا سيد بوارو فأنا لا أستطيع أن أتزوج وهذا السيف الرهيب مسلّط

على رأسي. لا أستطيع أن أحتمل أن ينظر إليّ الرجل الذي أحبه بشيء من الخوف والحذر إذا تشاجرنا يوماً.

- إذن فقد اقتنعت أخيراً بالحقيقة؟

- أجل، أنا مقدّرة لك كل ما بذلتَ من جهد في هذا السبيل ولن أضن عليك بأيّ قدرٍ من المال مكافأة لك.

فهز بوارو رأسه وقال: مكافأتي الحقيقية هي العمل على تبرئة سيدة مظلومة.

- ماذا تعني؟

- أعني أنكِ تريدين أن تخرجي من المعركة في اللحظة التي وضحَت لي فيها الحقيقة كاملة.

- لا أفهم تماماً ماذا تعني يا سيد بوارو.

- أعني أنني، هيركيول بوارو، قد عرفت من تحرياتي مع الأشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ومن كتاباتهم أن والدتك مظلومة.

فهزت رأسها في يأس وقالت: أتقول ذلك بعد أن ذكرَت الآنسة ويليامز بوضوح أنها شاهدت أمي وهي تزيل بصمات أصابعها عن الزجاجة وتطبع عليها بصمات أبي وهو ميت؟

وصمتت لحظة قبل أن تستطرد قائلة: لو أن الذي ذكر تلك الحقيقة شخص آخر لاتهمته بالكذب، ولكن الآنسة ويليامز كانت تحب أمي حتى آخر لحظة وقد وقفت في صفها وأخفَت ذلك الدليل الحاسم عن القضاة، فهل يمكن أن تشك

في أقوالها؟

قال بوارو: أنا آخر من يشك في أقوال الآنسة ويليامز.

ثم نهض واستطرد قائلاً: اسمعي يا كارلا. إن رؤية الآنسة ويليامز لأمك وهي تزيل بصمات أصابعها عن الزجاجة لتطبع عليها بصمات أصابع أبيك هي الدليل الحاسم الذي جعلني أؤمن بأن أمك لم ترتكب تلك الجريمة.

ثم غادر الغرفة، وظلت كارلا واقفة تشيعه بنظراتها بذهول ودهشة وعجب.

* * *

الفصل الرابع عشر

ذهب هيركيول بوارو إلى فيليب بليك وقال له بهدوء ورقة: لقد أتيت لأشكر لك ما بذلتَه من جهد في كتابة ذكرياتك عن مأساة صديقك أمياس كريل، والواقع أنك أوضحتَ لي العديد من النواحي التي كانت غامضة.

فقال فيليب وهو يشعر بالرضا عن نفسه: الحقيقة أنني دُهشت حين وجدت الذكريات تنهال بسرعة وقوة بمجرّد أن بدأت الكتابة.

- أجل، لكن هذا لا يمنع من القول بأنك لم ترَ كل شيء.

- لم أرَ كل شيء!

- روايتك لما حدث تمتاز بالصراحة والوضوح، لكن...

ثم تابع بوارو بصوت لا يخلو من جفاف: قد قيل لي يا سيد بليك إن السيدة كريل شوهدت مرة واحدة على الأقل تخرج من غرفتك في ساعة متأخرة من الليل.

وخيم الصمت على الغرفة، وراح فيليب بليك ينظر إلى

بوارو في حيرة وغضب ودهشة ثم قال أخيراً: من قال ذلك؟

- ليس المهم أن تعرف من الذي أخبرني، ولكن المهم هو أنني أعرف تلك الحقيقة.

وخيم الصمت وبدا أن فيليب يقرر في نفسه أمراً، وأخيراً قال: يبدو أنك عرفت مسألة خاصة عن طريق المصادفة، وأياً كان الأمر فأنا أجد نفسي مضطراً لأن أخبرك الحقيقة، الحقيقة التي حاولت إخفاءها من سطور حكايتي. أنا لا أنكر شعوري العدائي نحو كارولين، ولكن في الوقت نفسه كنت مفتوناً بها، ولعل تلك الحقيقة هي التي دفعَت بعضهم إلى إخبارك بهذا الذي قلتَه لي الآن، وتلك الحقيقة أيضاً هي التي كانت تجعلني أشعر دائماً بالثورة على نفسي وعلى خضوعي لجاذبيتها، ومن ثم كنت دائماً أحاول أن أتلمس لها الأخطاء وأضخّم لها العيوب حتى تصغر في عيني وتخف وطأة سحرها عليّ. وأرجو أن تفهم أنني لم أحبها يوماً هذا الحب الروحي، وجملة الحقيقة هي أنني أحببتها وأنا في ميعة الصبا والشباب لكنها لم تكن تبالي بي أو تشعر بوجودي، وقد عشت حياتي كلها وأنا لا أغفر لها ذلك الموقف.

وصمت فيليب لحظة قبل أن يتابع قائلاً: ثم حانت فرصتي عندما استغرق أمياس في حب تلك الفتاة إليسا غرير، فوجدت نفسي أصارح كارولين بحبي لها وإذا هي تقول بهدوء: "أجل يا فيليب، لقد عرفت أنك تحبني دائماً"... فيا لها من امرأة رهيبة كانت تعرف أنني أحبها دون أن تحفل بأمري أو تهتم بمشاعري!

ومرة أخرى صمت فيليب وقد بدت أشد أمارات الحقد على وجهه، ثم استأنف حديثه قائلاً: أجل، كنت أعرف أنها لم تشعر بالحب نحوي يوماً ولاحظت بوضوح ما كانت تشعر به من قلق وسخط وغضب وثورة بسبب موقف أمياس من تلك الفتاة إليسا. وإذا استبدت تلك المشاعر بالزوجة فمن السهل التغلب على مقاومتها... وهكذا رضيت بزيارتي ليلاً في غرفتي بالقصر، ولكنني ما كدت أحيطها بذراعيّ حتى تخلصَت مني وقالت بهدوئها القاتل إنه لا فائدة من ذلك، فهي امرأة رجل واحد؛ امرأة إذا أحبت رجلاً فلن تستطيع أن تحب غيره مهما يكن الحال، وستبقى على حب أمياس سواء بقي لها أو تزوج غيرها! ثم اعترفت أنها عاملتني بقسوة وأنها أساءت إليّ وطلبت مني أن أصفح عنها، ثم انصرفت عني. فهل تعجب بعد ذلك يا سيد بوارو إذا قلت لك إن كراهيتي لكارولين قد بلغت الذروة وإنني لم أصفح عنها أو أغفر لها تلك الإهانة التي وجهتها إلى عواطفي عدا قتلها لأخلص صديق لي؟

وارتعد فيليب فجأة وقال بعنف: أنا لا أريد الإفاضة في الحديث وقد أجبت على سؤالك، فهيا انصرف عني.

* * *

ذهب بوارو إلى السيد ميرديث بليك وقال له: أرجو أن تذكر لي ترتيب خروج ضيوفك من غرفة المعمل في ذاك اليوم يا سيد ميرديث بليك.

فاحتجّ ميرديث قائلاً: ولكن... كيف أستطيع أن أتذكر ذلك بعد مرور ستة عشر عاماً يا سيد بوارو؟ يكفي أنني قلت لك إن

كارولين كانت آخر من غادر الغرفة.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- نعم، على الأقل...

- هيا لنمضي إلى غرفة المعمل لتستعيد ذكرياتك، فنحن نريد أن نتأكد.

وهناك في غرفة المعمل قال بوارو: والآن يا سيد بليك، لقد انتهيتَ من الحديث إلى ضيوفك عن هوايتك وبدؤوا ينصرفون. أغمض عينيك وحاول أن تتذكر ترتيب خروجهم.

فأطاع ميرديث وهو يستنشق الرائحة: أجل، أجل... عجيب أن تتضح الذكريات أمام ذهني هكذا. أنا أتذكر كارولين، كانت ترتدي ثوباً في لون القهوة الخفيفة وكان فيليب يبدو ملولاً، هكذا كان دائماً كلما سمعني أتحدث عن هوايتي.

قال بوارو: تذكّر الآن... أنتم توشكون على مغادرة المعمل إلى المكتبة لتقرأ عليهم الفصل الخاص بموت سقراط، فمَن الذي غادر الغرفة أولاً؟

- إليسا وأنا. أجل، اجتازت الباب أولاً وأنا وراءها، فقد كنت أواصل الحديث معها، ثم توقفنا خارج الباب ننتظر خروج الباقين كي أغلق الباب بالمفتاح، ثم فيليب. أجل، غادر فيليب الغرفة بعدنا، ثم أنجيلا، ثم أمياس، وبقيت أنتظر خروج كارولين.

- أنت واثق بأنها آخر من غادر الغرفة، فهل رأيتَ ماذا كانت تفعل فيها؟

- لا، فقد كنت واقفاً وظهري إلى الباب أتحدث إلى إليسا، ولا شك أن الملل قد أثر في نفسها بسبب حديثي، ثم جاءت كارولين مسرعة وأغلقتُ الباب بالمفتاح.

وتوقف عن الكلام وفتح عينيه فرأى بوارو وهو يعيد المنديل إلى جيبه، وتشمم الهواء لحظة ثم قال لنفسه: "عجباً. هذا الرجل يضع في منديله عطراً!"، ثم قال بصوت مسموع: أنا واثق من هذا الترتيب، إليسا أولاً، ثم أنا، ثم فيليب، ثم أنجيلا، ثم أمياس، وأخيراً كارولين، فهل هذا يوضح شيئاً؟

فقال بوارو: نعم، يوضح كل شيء. اسمع يا سيد بليك، أنا سأدعو الباقين للاجتماع هنا، في هذه الغرفة، فهل لديك اعتراض؟

- لا، مطلقاً، لكن لماذا؟

- لمعرفة الحقيقة بأكملها

* * *

ذهب بوارو إلى إليسا وسألها: أرجو أن تسمحي لي بإلقاء سؤال واحد يا ليدي ديتشام.

- اسأل.

- بعد أن انتهي كل شيء بعد المحاكمة وصدور الحكم، هل طلب ميرديث الزواج بك؟

فحدقت إليسا ديتشام النظر إلى وجه بوارو ثم ارتسمت على وجهها أمارات السأم والاحتقار وقالت: نعم، طلب أن أتزوج

به، ولكن لماذا تسأل؟

- وهل أدهشكِ ذلك الطلب؟

- أدهشني؟ أنا لا أتذكر.

- بماذا أجبته؟

- بماذا تظن أنني سأجيبه؟ أيُعقل أن أتزوج بعد غرامي بأمياس برجل مثل ميرديث؟ هذا يثير السخرية والضحك، فقد كان أحمق في طلبه الزواج بي، وهو غبي أحمق دائماً.

ثم ابتسمت بشحوب وقالت: قد أراد أن يحميني ويرعاني، هكذا قال؛ فقد ظن أن الرأي العام جميعه ضدي وأنه لم يعُد لي مجال للحياة في هذا البلد، ولكن المسكين لم يكن يعرف أنني كنت أستمتع بما حدث ولم يكن يهمني رأي الغوغاء فيّ.

* * *

أجابت الآنسة ويليامز على سؤال بوارو بشأن إصابة أنجيلا على يد أختها قائلة: لمست أنجيلا ذات يوم خدها المشوه وقالت: إن كارولين هي التي فعلت ذلك، ضربتني بقضيب من الفضة وأنا طفلة صغيرة جداً، ولكن لا تشيري إلى الموضوع أمامها لأنها تضطرب كلما تذكرَته.

قال بوارو: ولكنني سمعت أو عرفت في أثناء تحرياتي أنها ضربتها بقضيب حديدي.

- أنا لا أعلم شيئاً عن ذلك.

- ألم تُشِر السيدة كريل إلى هذا الموضوع في أحاديثها

معك ذات مرة؟

- كانت تشير إليه بطريقة غير مباشرة على أساس أنني أعرف كل شيء عنه، وأذكر أنها قالت لي ذات مرة: "أنا أعرف أنك تظنين أنني أفسد أنجيلا بتدليلي لها وإسرافي في تلبية رغباتها، لكنني أشعر دائماً بأنني مهما فعلت لها فلن أستطيع أن أعوضها عن تشويهي لوجهها". وقالت في مناسبة أخرى: "ليس هناك عذاب أشد من إحساس الإنسان بأنه السبب المباشر في إصابة شخص آخر بعاهة مستديمة".

فقال بوارو: شكراً يا آنسة ويليامز، هذا كل ما أردت أن أعرفه.

* * *

استقبلت أنجيلا وارين بوارو بمودة وترحاب قائلة: هل استطعتَ أن تكتشف جديداً في الموضوع؟

فأومأ بوارو برأسه وقال: يمكنني أن أقول إنني في الطريق إلى الحقيقة أخيراً.

فتساءلت قائلة بصوت فيه من نبرات الشك أكثر مما فيه من نبرات اليقين: هل هو فيليب بليك؟

فهز بوارو كتفيه قائلاً: أنا لا أريد أن أقول شيئاً الآن يا آنسة وارين، فالوقت لم يحِن بعد لكشف الحقيقة بأكملها، وكل ما أرجوه منك أن تتفضلي بالحضور إلى منزل السيد ميرديث بليك في ضيعة هاند كروس، وسيحضر الجميع هناك.

- ماذا تنوي أن تفعل؟ أتعتقد أنه في مقدورك إعادة الموقف

إلى ما كان عليه منذ ستة عشر عاماً؟

- ربما استطعت أن أرى الموقف من زاوية أوضح. هل ستحضرين؟

- نعم سأحضر، فمن الطريف أن أرى كل هؤلاء الناس مرة أخرى بعد كل تلك المدة الطويلة، ولعلي أراهم من زاوية أوضح كما قلتَ.

- هل ستُحضرين معك الخطاب الذي أطلعتِني عليه، ذلك الخطاب الذي أرسلَته إليك أختك عقب صدور الحكم عليها؟

فقطبت أنجيلا جبينها قائلة: هذا الخطاب من خصوصياتي وقد أطلعتك عليه لأسباب أوضحتها لك، ولست مستعدة لأن يقرأه أشخاص غرباء لا يفهمون ولا يقدّرون. ولكني سأحضر معي الخطاب على سبيل الاحتياط، فإذا وجدت ما يدعو إلى قراءته فلن أمانع.

* * *

الفصل الخامس عشر

كانت أشعة الشمس تنساب إلى غرفة المعمل من نافذتها الغربية، وكانت ثمة مقاعد وثيرة قد صُفت بها لتستقبل المدعوين للاجتماع. وكان ميرديث يتحدث إلى كارلا بشيء من الاضطراب وهو يعبث بشاربه، ثم إذا هو يتوقف فجأة ويقول: آه، أنت يا عزيزتي تشبهين والدتك في جوانب عديدة ولكنك تختلفين عنها في جوانب أخرى.

فقال كارلا: فيمَ أشبهها وفيمَ أختلف عنها؟

فتردد ميرديث لحظة قبل أن يقول: أنت تشبهينها في لون البشرة وفي الحركة، ولكنك تخالفينها في أنك أكثر واقعية وإدراكاً لحقائق الحياة.

وكان فيليب بليك ينظر مقطب الجبين من النافذة إلى المروج الخضراء وهو ينقر على المصراع في ضيق وتوتر عصبي ثم يقول: ما معنى هذا كله؟ الجو اليوم رائع وكان ينبغي أن نقضي هذه الفترة في لعب الغولف بدلاً من الجلوس في هذه الغرفة المهجورة.

فأسرع بوارو يقول: آه، أنا آسف يا سيد بليك. صحيح أن

الجو اليوم رائع ومناسب للعب الغولف ولكن هذه هي كارلا ابنة أعزّ صديق لك، وأعتقد أنك لا تتردد في تقديم أية مساعدة لها.

وعندئذ أقبل الخادم وقال: لقد حضرت الآنسة وارين.

ونهض ميرديث لاستقبالها قائلاً: جميل منك أن تحضري يا آنسة وارين رغم مشاغلك الكثيرة.

وسار معها نحو النافذة فنهضت كارلا وهي تهتف بسرور: مرحباً خالتي أنجيلا، لقد قرأت مقالتك في صحيفة التايمز هذا الصباح، جميل جداً أن يكون للإنسان خالة مشهورة مثلك.

ثم أشارت إلى شاب طويل عريض الكتفين رمادي العينين هادئ السمات وقالت: هذا هو جون راتيري الذي أرجو أن يتم زواجي به.

فتمتمت أنجيلا قائلة: آه، لم أكن أعرف.

ثم مضى ميرديث لاستقبال الآنسة ويليامز التي بدت عند الباب فصافحها بحرارة قائلاً: آنسة ويليامز، لقد انصرمت أعوام عديدة منذ تقابلنا آخر مرة.

وتقدمت الآنسة ويليامز بجسمها النحيل الطويل وعينيها المركزتين على بوارو، ثم إذا هي تلتفت إلى الشاب جون راتيري وتتأمله، وأسرعت أنجيلا وارين إليها وقالت باسمة وهي تصافحها: تصوري يا آنسة ويليامز أنني أشعر الآن وكأني ما زلت تلميذة أمام مدرّستها الحبيبة الحازمة.

فردّت الآنسة ويليامز بصوت ينم عن السرور والحماس:

أنا فخورة بك يا آنسة وارين، فقد شرّفتني ورفعت رأسي عالياً، فحسب الإنسان سروراً ورضا أن يكون له تلميذة رائعة مثلك.

ثم التفتَت إلى كارلا وأردفت قائلة: أعتقد أن هذه كارلا. آه، إنها لا تذكرني طبعاً، فقد كانت صغيرة جداً.

واستدار فيليب بليك وقال متجهماً: ما هذا كله؟ لم يخبرني أحد أن...

فأسرع بوارو قائلاً: آه، معذرة يا سيد بليك، أنا أسمّي هذا الاجتماع «رحلة إلى الماضي». تفضلوا جميعاً بالجلوس وسوف نبدأ الاجتماع بمجرّد وصول العضو الأخير، الليدي ديتشام، وعندما تصل سوف تظهر الأرواح.

فقال فيليب: ما هذا الهراء يا سيد بوارو؟ هل هي جلسة تحضير أرواح؟

- لا، لا، ليس هذا ما أعنيه، ولكنني أعتقد أن حديثنا عن الماضي وتبادلنا الآراء فيما حدث بشأن تلك المأساة الأليمة سيؤدي إلى استحضار روح أمياس كريل وروح زوجته كارولين في الغرفة دون أن نراهما، ولكن من المؤكد أننا سنشعر بهما.

وفي تلك اللحظة فتح الخادم الباب وقال: الليدي ديتشام.

وأقبلت إليسا إلى الغرفة في جرأة ووقاحة واستهتار، وأومأت برأسها في ابتسامة خفيفة إلى ميرديث وأرسلت نظرة باردة إلى أنجيلا وارين، ثم مضت إلى مقعد منفرد عن بقية المقاعد بالقرب من النافذة وخلعت معطفها الفراء الثمين ثم

تلفتت لحظة في جوانب الغرفة، في حين كانت كارلا تتأمل تلك المرأة التي كانت السبب المباشر في وقوع المأساة، المأساة التي حرمتها من أبيها ولطخت اسم أمها بالجريمة والعار، ولكن لم يكن في نظراتها أية أمارات للحقد والعداء.

قالت إليسا ببرود: أنا آسفة إذا كنت قد تأخرت قليلاً يا سيد بوارو.

ثم وجهت الكلام إلى أنجيلا قائلة: كدت لا أعرفك يا أنجيلا. كم مضى من السنين على آخر لقاء؟ ستة عشر عاماً؟

وانتهز بوارو تلك الفرصة وقال: نعم، لقد مضت ستة عشر عاماً على تلك الأحداث التي سنتناولها الآن بالشرح والتفصيل، وأحب أولاً أن أوضح لكم السبب في هذا الاجتماع.

وفي عبارات قليلة واضحة روى لهم المهمة التي كلفَته بها كارلا لامرشان وقبوله القيام بها رغم صعوبة البحث والتحري عن جريمة وقعت منذ ستة عشر عاماً وصدر فيها الحكم بالإدانة، وكان يتحدث بسرعة متجاهلاً ثورة الغضب التي كانت تتجمع على وجه فيليب وأمارات الاشمئزاز التي دلّ عليها وجه ميرديث، ثم اختتم بوارو حديثه قائلاً: أجل، قبلت القيام بهذه المهمة للبحث عن الحقيقة.

وكانت كارلا لامرشان، ابنة كريل وكارولين، جالسة في مقعد وثير تسمع صوت بوارو وكأنه آت من بعيد وتتأمل وجوه الأشخاص الخمسة المجتمعين في الغرفة كما سبق أن اجتمعوا مع أبيها وأمها منذ ستة عشر عاماً، أخذت تتأمل وجوههم وهي تتساءل: أيمكن أن يكون أحدهم هو القاتل؟ إليسا المستهترة، أم

فيليب الغاضب، أم ميرديث الهادئ، أم الآنسة ويليامز الحازمة، أم أنجيلا الثابتة الرزينة؟ أتستطيع هي مهما حاولَت أن تهتدي إلى القاتل الحقيقي بين هؤلاء الأشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة؟

كان بوارو قد بدأ بالكلام في صميم الموضوع قائلاً: هذه هي المهمة التي كلفت بها، أن أعود أدراجي عبر السنين لأكتشف حقيقة ما حدث و...

فقاطعه فيليب بليك: ولكننا هنا نعرف ما حدث جميعاً، وإذا حاول أحدنا أن يزعم غير ذلك فهو مخطئ. أجل، أنت تأخذ مالاً من هذه الفتاة بغير مقابل، هذه حقيقة لا جدال فيها، وهذا نوع من الاحتيال والتغرير.

رفض بوارو أن يغضب بل قال: أنت تقول إنكم جميعاً تعرفون حقيقة ما حدث، والواقع أنك تلقي بهذا الكلام في غير تفكير؛ فليس من الضروري أن يكون كل ما قيل عن حقائق المأساة صدقاً تماماً، والدليل على ذلك يا سيد بليك أنك ذكرت في تقريرك بوضوح أنك تكره كارولين وتحقد عليها، فهل أنت صادق في هذا القول؟ أيّ مبتدئ في علم النفس يعرف أن الحقيقة هي العكس وأن حقدك عليها نابع من رغبتك فيها، من حبك المادي لها.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: لقد كنتَ دائماً مفتوناً بها خاضعاً لجاذبيتها، وكنت ثائراً على هذا الافتتان وهذا الخضوع وكثيراً ما بذلتَ الجهد لمقاومة تلك الرغبة نحوها، وبسبب تلك الرغبة في المقاومة ظللت توحي لنفسك بأنها امرأة

شريرة خبيثة كثيرة العيوب متعددة الأخطاء جديرة بكراهيتك لا بحبك. وكذلك كان الأمر مع أخيك ميرديث ولكن بطريقة مختلفة، فقد كان ميرديث متفانياً في حب كارولين، وقد حاول في تقريره أن يعبّر عن حبه بطريق غير مباشر، أي عن طريق التنديد بأخطاء أمياس كريل وسوء تصرفاته معها وقسوته عليها... ولكن إذا أمعنّا النظر في تقريره لأدركنا من بين السطور أن حبه لكارولين كان قد بدأ يخمد ويتلاشى ليحلّ محلّه حب آخر، حب الفتاة الصغيرة الجميلة إليسا، فقد كان الواضح من تقريره أن إليسا هي التي كانت تملأ عليه فكره وقلبه.

فغمغم ميرديث بكلمات غامضة وابتسمت إليسا، واستطرد بوارو يقول: أنا أذكر هذه الحقائق على سبيل المثال، وإن كانت لها دلالتها عن المأساة ذاتها. حسناً، لقد رحلت عبر السنين إلى أحداث تلك المأساة منذ أن كلفَتني الآنسة كارلا بهذه المهمة، فتحدثت مع مفتش الشرطة الذي تولى التحقيق وتحدثت مع الأشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة واستلمت تقاريرهم المكتوبة، وأستطيع أن أقول إنني عثرت في هذه التقارير على ما كنت أبحث عنه، فقد كنت أبحث عن تفصيلات بسيطة غفل عنها رجال الشرطة لفرط بساطتها، رغم أهميتها، وهذه التفصيلات البسيطة الهامة هي:

أولاً: أحاديث معينة وتصرفات خاصة أهملها رجال الشرطة على أنها غير ذات أهمية.

ثانياً: آراء بعض الشخصيات المحيطة بكارولين عن تفكيرها ومشاعرها، وأنا أعترف أن المحكمة ما كانت تعتمد على هذه الآراء من الناحية القانونية.

ثالثاً: حقائق معينة أُخفيت عمداً عن رجال الشرطة.

ثم صمَت بوارو لحظة قبل أن يستطرد قائلاً: أما الآن فأنا في وضع يتيح لي الحكم في الموضوع بنفسي. وأنا لا أنكر أنه كان هناك الدافع القوي الذي يبرر ارتكاب كارولين لجريمة قتل زوجها، فقد كانت تحب زوجها حباً جنونياً، وقد اعترف هو أمامها بصراحة أنه سيهجرها من أجل امرأة أخرى واعترفت هي أنها زوجة شديدة الغيرة. وإذا انتقلنا من دوافع الجريمة إلى الوسائل وجدنا أنه عُثر على زجاجة فارغة كانت تحتوي على سم الكونين في دُرج خزانة ملابسها ولم يوجد على تلك الزجاجة بصمات أصابع أحد غير بصماتها هي، وعندما سُئلت عنها في أثناء التحقيق اعترفت أنها أخذت سم الكونين من هذه الغرفة التي نجلس فيها الآن، وزجاجة الكونين التي كانت هناك عليها بصمات أصابعها أيضاً، أي أنها صادقة في هذا الاعتراف. وحين سألت السيد ميرديث عن ترتيب خروجكم من الغرفة يومذاك قال إن كارولين كانت آخر من غادرها، وأهم من هذا أنه كان هو مولياً ظهره إليها مشغولاً بالحديث مع الآنسة إليسا، أي أنه كان من المستحيل عليه أن يعرف ماذا كانت تفعل كارولين في الغرفة قبل خروجها، ومعنى هذا أن الفرصة كانت سانحة لها كي تختلس كمية الكونين. وأنا من هذه الناحية مطمئن تماماً أنها أخذت كمية من السم من هذه الغرفة فعلاً.

ثم ابتسم ابتسامة صغيرة قبل أن يستطرد قائلاً: ومن الطريف في هذا الموضوع، أو في هذه النقطة بالذات، أن السيد ميرديث ذكر لي في أثناء حديثه عنها أنه كان يشم رائحة الياسمين تنساب من أشجار الياسمين النامية وراء النافذة، وقد نسي أن الحادث

وقع في شهر سبتمبر، أي في شهر لا يمكن أن تتفتح فيه أزهار الياسمين. إن الياسمين الذي شم رائحته في ذلك الحين هو العطر الذي سكبته كارولين من زجاجة تحملها في حقيبتها لتضع فيها كمية من سم الكونين، وإذا دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن كارولين قد قررت فجأة وبعد سماعها عن مفعول الكونين الذي يميت بغير آلام أن تختلس كمية منه، فأفرغت زجاجة العطر لهذا الغرض. وقد قمت أمس بتجربة بسيطة في هذا الشأن مع السيد ميرديث فجعلته يغمض عينيه ليستعيد موكب الذكريات، ثم لوحت أمامه بمنديل معطر بالياسمين فتتابعت الذكريات على ذهنه، وكلنا يعرف أثر الروائح في بعث الذكريات من مرقدها.

وعندئذ قال فيليب بشيء من الضيق والضجر: ما معنى كل هذه الأدلة التي تسوقها لتثبت أن كارولين اختلست من هذه الغرفة كمية من السم، أما يكفي اعترافها؟

فابتسم بوارو وقال: إن بعض المتهمين يدلون باعترافات غير صحيحة لأسباب خاصة.

- حسناً، ولكن جميع الأدلة مع اعترافات كارولين قد أثبتَت أنها هي، لا أحد سواها، التي اختلست كمية السم، فلماذا كل هذا الاستطراد؟

ومرة أخرى أبى بوارو أن يغضب، ثم قال: أردت من هذا الاستطراد أن أُثبت بالدليل القاطع أن كارولين هي فعلاً وقولاً التي اختلست السم.

فقال فيليب بصوت ينم عن السخرية: وبالتالي لتثبت قولاً وفعلاً أنها هي التي ارتكبَت الجريمة، وأعتقد أن رجال الشرطة

كانوا أسبق منك في هذا الشأن.

- مهلاً يا سيد فيليب بليك، فسوف أنتقل إلى نقطة أخرى لا يستطيع أحد أن يماري فيها؛ فقد اجتمعت أقوال الشهود على أن إليسا صارحت كارولين بعزمها على الزواج بأمياس وأن أمياس اعترف لزوجته بهذه الحقيقة، وأن كارولين كانت في حالة نفسية سيئة بعد هذا الاعتراف. حسناً، كل هذا مفروغ منه. والآن لننتقل إلى الأحداث التي وقعَت في صباح يوم المأساة.

ثم اعتدل على مقعده واستطرد قائلاً: في ذلك الصباح وقعت مشادة أو مشاجرة أو شيء من هذا القبيل بين أمياس وزوجته في غرفة المكتبة، وقد سمعها السيد فيليب بليك وهو يمر بالصالة، وكذلك سمعَتها إليسا وهي جالسة تحت نافذة غرفة المكتبة، أقول سمعاها تقول بصريح العبارة لزوجها: "هكذا أنت، سوف أقتلك في يوم ما"... وقد ذكرت إليسا أنها سمعَت أمياس وهو يطلب من زوجته أن تتعقل وتتزن ولا تتهور في تصرفاتها، فأجابته كارولين بأنها تفضل أن تراه ميتاً على أن يتزوج بهذه الفتاة. ثم غادر أمياس غرفة المكتبة وطلب من إليسا أن تمضي معه إلى حديقة البحر كي تجلس معه حتى يفرغ من رسم اللوحة، فطلبت منه أن ينتظر قليلاً ريثما تأتي بسترتها الصوفية لتحتمي بها من برودة هواء البحر.

وصمت بوارو برهة قبل أن يقول مستطرداً: إلى هنا ونحن نجد تصرفات كل شخصية في المأساة تبدو طبيعية متناسقة من جميع النواحي السيكولوجية، فقد كان كل واحد يتصرف كما هو منتظَر منه. ولكننا سننتقل الآن إلى مرحلة بدت فيها بعض التصرفات غير منطقية وغير منتظَرة، ومع ذلك لم يحاول أحدٌ

أن يسأل عن السبب يومذاك.

وتحولت نبرات صوت بوارو فجأة من البساطة واللين إلى الجد والحزم وهو يقول: اكتشف ميرديث بليك سرقة أو ضياع كمية من سم الكونين من معمله في الصباح، فاتصل هاتفياً بأخيه فيليب الذي كان ينزل ضيفاً على أمياس وكارولين، فطلب منه فيليب أن يسرع بالحضور إلى قصر ألدربري ليتبادل معه الحديث في هذا الأمر. ثم ذهب لاستقبال أخيه عند ضفة الخليج، وبينما هما عائدان إلى القصر في الممر سمعا كارولين تتناقش مع زوجها بشأن إلحاق أنجيلا بالمدرسة، فما رأيكم في هذا التصرف؟ هل هو يتناسق ويتطابق من الناحية السيكولوجية؟ هل هو تصرف منطقي معقول؟ ألم يخطر ببال أحد أن يتساءل كيف يتناقش زوجان في موضوع بسيط يخصّ إلحاق أنجيلا بالمدرسة بعد تلك المشاجرة العنيفة التي سُمعت فيها الزوجة وهي تهدد زوجها بالموت؟ أيمكن أن يحدث هذا؟ أيمكن أن تتشاجر زوجة مع زوجها إلى حد تهديده بالموت ثم تذهب إليه بعد عشرين دقيقة كي تتناقش معه في موضوع إلحاق أختها بالمدرسة؟

ثم التفت بوارو إلى ميرديث وقال له: لقد ذكرتَ في تقريرك أنك سمعتَ أمياس كريل يقول لزوجته: "لقد انتهى كل شيء وسوف ترحل"، أليس كذلك؟

فقال ميرديث بسرعة: بلى، سمعت العبارة بوضوح.

ثم قال فيليب مؤكداً: أجل، أذكر أنني سمعت شيئاً من هذا القبيل ونحن نقترب من باب حديقة البحر.

فقال له بوارو: هل أنت متأكد تماماً أنك سمعت تلك العبارة أو ما في معناها؟

فقطب فيليب جبينه وقال: نعم، طبعاً، سمعت شيئاً عن حزم الحقائب والرحيل.

- وكان المتحدث أمياس وليس كارولين، أليس كذلك؟

- بكل تأكيد، وأذكر أن كارولين قالت له إنه شديد القسوة على الفتاة. لماذا تلِحّ على هذه الأسئلة؟ فقد كنا نعرف أن الموضوع يتعلق بترحيل أنجيلا إلى المدرسة.

وقال ميرديث: أجل، فحينما رأتنا كارولين ابتسمت وقالت إنها كانت تتحدث مع زوجها بخصوص إلحاق أنجيلا بالمدرسة وإصراره على ترحيلها في أقرب فرصة.

وقال فيليب: ولكن ما علاقة هذا كله بارتكاب الجريمة يا سيد بوارو؟

فابتسم بوارو وقال: لها أكبر علاقة؛ فهي الخيط الأول من الضوء الذي هداني إلى الحقيقة. وقد اتصل به مباشرة خيط آخر زاد الحقيقة ضوءاً، وذلك أن كارولين المخذولة المهجورة الكسيرة الجناح التي تفكر في الانتحار أو التي تدبر لمقتل زوجها التي هددته علانية بالموت، كارولين هذه تَعِدُ زوجها في هدوء ورضا بأن تأتي إليه بزجاجة شراب مثلجة بعد أن أعرب عن اشمئزازه من الشراب الساخن في الحديقة، فهل مثل هذا التصرف أيضاً يطابق قوانين علم النفس البديهية؟

فقال فيليب بليك: نعم، هذا تصرف معقول ما دامت

تدبر مقتل زوجها، فقد كانت فرصتها السانحة لتضع له السم في الشراب.

فقال بوارو: أتعتقد ذلك؟ إذا كانت قررت وضع السم لزوجها فعلاً، وإذا كان زوجها يحتفظ ببضع زجاجات في الحديقة، فلماذا لم تضع هذا السم في زجاجة أو اثنتين من الزجاجات التي ثبت أنها لم تكن تزيد عن ثلاث؟ وكان هذا في مقدورها دون أن يراها أحد.

هز فيليب رأسه وقال: لا، لم يكن في مقدورها أن تفعل هذا خشية أن يشرب شخص آخر من الزجاجة المسممة.

فابتسم بوارو وقال: شخص آخر؟ مثل إليسا مثلاً؟ أتريد أن تقول لي إن المرأة التي قررت قتل زوجها سوف تخشى من قتل عشيقته خطأ؟

وصمت بوارو لحظة قبل أن يستطرد قائلاً: ولكن دعونا من هذه الاحتمالات ولنركز اهتمامنا على الحقائق. لقد قالت كارولين إنها ستبعث إلى زوجها بزجاجة مثلجة، ثم صعدَت إلى القصر فتناولَت من الثلاجة زجاجة وعادت بها إليه وصبت منها في الكأس التي كانت موضوعة بجانبه، وشرب هو الكأس في جرعة واحدة فبدا عليه التأفف وقال: "كل شيء في فمي مر اليوم"، ثم عادت كارولين إلى القصر بعد ذلك. وحل موعد طعام الغداء فجلست هي مع الضيوف كالمعتاد لتتناول الطعام. وقد اجتمعَت الآراء على أنها كانت ثابتة لا يبدو عليها غير شيء يسير جداً من القلق، وكل هذا لا يهم فهناك قاتلات ثابتات الأعصاب وقاتلات متوترات الأعصاب تدلّ تصرفاتهن على اضطراب نفوسهن،

ولهذا السبب فلن أهتم كثيراً بهذه النقطة.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: وبعد الغداء ذهبَت كارولين لتنظر إذا كان زوجها محتاجاً إلى شيء، وهناك وجدته ميتاً. ونستطيع أن نقول إنها اضطربت فأرسلت الآنسة ويليامز لاستدعاء الطبيب، وهنا سننتقل إلى حقيقة لم يسبق أن عرفها أحد منكم غير الآنسة ويليامز.

ثم التفتَ إلى الآنسة ويليامز، فلما أومأت له برأسها قال: لقد التقت الآنسة ويليامز وهي في طريقها إلى الهاتف بالسيد ميرديث فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب، ثم عادت مسرعة إلى كارولين لتبقى بجانبها، فماذا تظنون أنها رأت؟

فخيم الصمت الرهيب على غرفة المعمل المهجور في حين استطرد بوارو يقول: رأت كارولين وهي تزيل بمنديلها آثار بصمات أصابعها عن الزجاجة وتطبع عليها بصمات أصابع زوجها.

فشحب وجه كارلا، واتسعت عينا أنجيلا وارين، وغمغم ميرديث بكلمات غامضة، وقال فيليب: ألم أقُل...؟

أما إليسا (أو الليدي ديتشام) فقد تململت في مقعدها ونظرت إلى الآنسة ويليامز بدهشة بالغة وقالت: هل رأيتها حقاً تفعل هذا؟

فردّت الآنسة ويليامز بصوت ينمّ عن الاحتقار: أنا لم أتعود الكذب في التفاهات، فكيف أكذب في الخطير من الأمور؟

فوثب فيليب قائلاً: هذا يضع حداً للأمر كله فلا داعي

للمزيد من الحديث، وأعتقد يا سيد بوارو أنك لم تفعل أكثر من أن أكّدت إدانة كارولين بطريقة لا تدع للشك مجالاً.

فنظر بوارو إليه بهدوء وقال: مَن قال هذا؟

وقالت أنجيلا بصوت حاد: أنا لا أصدق هذا أبداً.

وراح ميرديث يشد شعيرات شاربه في اضطراب، وظلت الآنسة ويليامز هادئة في مكانها تقول بثبات: هذا ما رأيته بعيني وأقسم على ذلك أمام الله.

قال بوارو بهدوء: طبعاً ليس لدينا أيّ دليل يثبت تلك الحقيقة غير كلمة الآنسة ويليامز.

فنظرت إليه بثبات وقالت: أجل، لكنني لم أعتقد أن توضع كلمتي موضع الشك.

فأومأ بوارو لها برأسه وقال: وأنا لا أشك فيما تقولين يا آنسة ويليامز، فقد رأيتِ ما حدث فعلاً. ولهذا السبب بالذات، أي ما قامت به كارولين من إزالة بصمات أصابعها عن الزجاجة وطبع بصمات زوجها، قررتُ عن يقين وتأكيد بأنها لم ترتكب تلك الجريمة ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تكون هي المذنبة.

ولأول مرة قال الشاب الطويل جون راتيري، خطيب كارلا، بصوت هادئ: يهمني أن أعرف، لماذا تقول هذا يا سيدي؟

فالتفت بوارو إليه وقال باسماً: سوف أخبرك ماذا رأت الآنسة ويليامز. لقد رأت كارولين تزيل في فزع بمنديلها آثار

كل ما على الزجاجة من بصمات، آثار بصمات أصابعها وطبعاً بصمات أصابع زوجها الميت. وأرجو أن تستوعبوا هذه الحقيقة المهمة جداً، وهي أنها فعلت ذلك بزجاجة الشراب، أليس كذلك يا آنسة ويليامز؟

فأومأت برأسها قائلة: بلى، فعلت ذلك بالزجاجة.

فابتسم بوارو ابتسامة المنتصر وقال: هذا مع العلم بأن التحليل الطبي أثبت بصفة قاطعة أن سم الكونين لم يكن موجوداً في الزجاجة بل وُجدت آثاره في الكأس الموضوعة بجانبها والتي كان أمياس يشرب منها، فما معنى هذا؟ معناه الواضح أن كارولين لم تكن تعرف الحقيقة وظنت أن الكونين كان موضوعاً في الزجاجة فقط، فهل يستطيع عاقل بعد هذا أن يصدّق أنها قاتلة زوجها رغم أنها لم تكن تعلم أين وُضع السم في شرابه؟

فقال فيليب بليك دهشاً: لكن، لماذا حاولت أن...

فقاطعه بوارو بحدة: أجل، لماذا؟ لقد أزالت بصمات أصابعها وأصابع غيرها عن الزجاجة وطبعت عليها بصمات أصابع زوجها؟ لماذا؟ من حق كل إنسان أن يسأل، ومن واجبي أنا، الباحث عن الحقيقة، أن أجيب إجابة مقنعة لا سبيل إلى الشك فيها، وهذه الإجابة هي: لقد كانت تعرف من الذي قتل زوجها وكانت على استعداد لأن تفعل أيّ شيء وأن تحتمل أيّ شيء حتى تبعد التهمة عن ذلك الشخص.

وصمت بوارو لحظة قبل أن يستطرد قائلاً وهو يشيح بوجهه عن أنجيلا وارين: ومن السهل علينا أن نعرف مَن هي الشخصية التي كانت كارولين على استعداد لاحتمال أيّ شيء من أجلها،

فهل يمكن أن تكون تلك الشخصية الغالية فيليب أو ميرديث بليك أو الآنسة ويليامز أو إليسا مثلاً؟ لا، لا يمكن أن يكون أحد من هؤلاء أغلى على كارولين من حياتها. إذن فمَن تكون؟

وصمت بوارو لحظة قبل أن يوجه الكلام إلى أنجيلا وارين قائلاً: آنسة وارين، إذا كنت قد أحضرت معك الخطاب الذي أرسلَته إليك أختك بعد صدور الحكم فأرجو أن تسمحي لي بقراءته هنا.

فقالت أنجيلا بحدة: لا.

- لكن الأمر يا آنسة وارين...

فوثبت أنجيلا قائلة: أنا أفهم ماذا تعني، أنت تريد أن تقول إنني أنا قاتلة أمياس كريل، أليس كذلك؟ أنا قاتلة أمياس وقد حاولَت أختي أن تحميني وتتستر عليّ، لكنني أنكر الاتهام المزعوم بكل قوة.

- الخطاب يا آنسة وارين.

- ذلك الخطاب من شؤوني الخاصة، فقد أُرسل لي لا لأحد غيري.

ونظر بوارو إلى كارلا وخطيبها الواقفَين معاً في شيء من الاضطراب، وعندئذ قالت كارلا برجاء: أرجوك يا خالتي أنجيلا، أرجوك. لماذا لا تسمحين بقراءة الخطاب؟

فقالت أنجيلا: عجباً يا كارلا، كيف تقبلين هذا؟ هذه أمك ولا يجوز...

فانساب صوت كارلا واضحاً رناناً في الغرفة: نعم، أمي، ولهذا السبب أطلب منك أن يُقرَأ خطابها هنا فهذا من حقي.

فهزت أنجيلا كتفيها، وببطء شديد أخرجت من حقيبة يدها الخطاب وسلمته إلى بوارو الذي قرأه بصوت مسموع للجميع. وتوقف بوارو عن القراءة بعد أن فرغ من تلاوة الخطاب ثم قال: هذا خطاب مدهش، أليس كذلك؟ خطاب عجيب رائع، ولكن الذي يلفت النظر فيه هو أنه خالٍ من أيّ ادعاء ببراءتها.

قالت أنجيلا: لا داعي لأن تؤكد لي براءتها لأنني أعلم أنها بريئة، وهي أيضاً تعلم هذه الحقيقة البديهية، فلماذا تؤكد لي؟

- أجل يا آنسة وارين، كانت كارولين تعلم أنها بريئة تماماً، وأنت واثقة من براءتها كذلك، بل أنت أكثر الناس ثقة بهذه البراءة، فقد كان همها فقط في هذا الخطاب هو أن تواسيك وتهدئ من أعصابك وتؤكد لك أنها ليس آسفة أو نادمة أو حزينة وأن عليكِ أن تنسي كل شيء وتعيشي حياتك في سعادة ونجاح.

- من البديهي أن ترجو أخت لأختها كل سعادة ونجاح في الحياة.

- أجل، ولكن لا تنسى أنها كانت لها طفلة في الخامسة من عمرها، ومع ذلك فقد كان كل تفكيرها متجهاً إليك أنت دون طفلتها. لم تفكر في طفلتها إلا أخيراً وهي على فراش الموت ولم تكتب لها شيئاً أكثر من أنها بريئة، أما من ناحيتك أنت فقد كانت في أشد حالات القلق، كانت تريد أن تؤكد لكِ

أنها ليست آسفة وأنها ستحتمل العبء راضية لأن على الإنسان أن يدفع ثمن ما جنت يداه (كما ذكرت في نص خطابها)، فهذه العبارة توضح كل شيء لأنها تبيّن مدى الآلام النفسية التي تحملتها منذ أن أصابت أختها في ساعة غضب وغيرة إصابة سبّبت لها عاهة مستديمة، ولكن ها هي ذي الأقدار قد أتاحت لها الفرصة لدفع الثمن.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: لكي تخفف عن نفسها الآلام الرهيبة ووخز الضمير. وأنا أستطيع أن أؤكد أن كارولين بعد أن دفعت هذا الثمن شعرت بسكينة النفس وهدوء البال وراحة الضمير، بل أحست بلون من السعادة الروحية لم يسبق له مثيل في حياتها. لقد كانت تعتقد أنها دفعت ثمن الذنب الذي ارتكبَته في حق أختها، ولذلك احتملَت إجراءات المحاكمة في صبر واستسلام ورضا، وكان الناس يظنون أنه استسلام المجرم لمصيره، أما أنا فأقول -كما سأبين لكم- أن هذا هو استسلام الإنسان لراحة الضمير.

والآن سأذكر لكم تسلسل الأحداث وانطباقها على الحقائق واتفاق بعضها مع بعض وتناسقها التام مع المبادئ البديهية لعلم النفس، فنبدأ أولاً بحادثة بسيطة وقعت في مساء اليوم السابق على المأساة، تلك هي حادثة المشاجرة الصبيانية التي وقعَت بين أنجيلا وأمياس بشأن الالتحاق بالمدرسة. لقد ألقت أنجيلا على أمياس بقضيب من الفضة ودعت عليه دعوات سيئة ثم انطلقت باكية إلى غرفتها. فأعاد ذلك المنظر، منظر إلقاء قضيب الفضة على أمياس، إلى ذهن كارولين ذكريات الحادثة التي أصابت فيها أختها بقضيب الفضة إصابة كادت أن تكون قاتلة، وقد

صاحت أنجيلا في أمياس أنها تتمنى لو تراه ميتاً! وفي ضحى اليوم التالي ذهبت كارولين إلى ثلاجة القصر لتأخذ منها زجاجة مثلجة، وهناك وجدت أنجيلا واقفة وفي يدها زجاجة شراب وعلى وجهها أمارات من ارتكبت ذنباً.

هذا هو التعبير الذي ذكرته الآنسة ويليامز في تقريرها، وكانت الآنسة ويليامز تقصد من هذا التعبير شعور أنجيلا بخطئها في الهرب منها طوال فترة الصباح، ولكن كارولين تذكّرت فيما بعد أمارات الشعور بالذنب هذه وفهمت منها شيئاً آخر. نعم، لا تنسوا أن أنجيلا تعودَت أن تداعب أمياس وتضع في شرابه أشياء مرة المذاق. وهكذا أخذَت كارولين زجاجة الشراب المثلج ومضت بها إلى زوجها في حديقة البحر وسكبت منها في الكأس الموضوعة على منضدة بجانبه، وشرب هو الكأس في جرعة واحدة وتأفف من مذاقها قائلاً إن كل شيء في فمه مر هذا اليوم، ولكن كارولين لم تشكّ في شيء عندئذ، ثم أيقنت أنه مات مسموماً، ولكنها هي لم ترتكب الجريمة فمَن الذي ارتكبها؟

وتذكرَت كل شيء في لحظة، تذكرَت رغبة أنجيلا في رؤية أمياس ميتاً، وتذكرت بعد أن اكتشفت موت زوجها أمارات الشعور بالذنب على وجه أنجيلا وهي واقفة بجانب الثلاجة تعبث بالزجاجات... ولكن لماذا فعلت الصبية ذلك؟ لا شك أنها لم تقصد أن تقتله ولعلها أرادت فقط أن تغيظه أو أن تجعله يمرض، أو أنها قتلَته فعلاً من أجلها هي، من أجل كارولين! مهما يكن السبب فقد كادت هي، وهي في مثل تلك المرحلة من العمر، أن تقتل أختها، فلماذا لا تفعل أنجيلا هذا أيضاً؟

حسناً، يجب إذن أن تحمي أنجيلا بأيّ ثمن، فقد أمسكت

الفتاةُ الزجاجةَ التي وضعت فيها السم فيجب إذن أن تزيل عن الزجاجة كل آثار للبصمات، وهي لم تكن تزيل بصماتها هي بل بصمات أنجيلا، وهو المهم. ثم ماذا أيضاً؟ يجب أن تجعل كل إنسان يعتقد أن أمياس مات منتحراً، ولكنها لم تفكر في تلك اللحظة أن الناس من الناحية النفسية لن يصدقوا انتحار أمياس. لقد كان كلّ همها مركّزاً على إنقاذ أنجيلا بأيّ ثمن، وهكذا طَبعت بصمات أصابع زوجها على الزجاجة، وكانت تفعل ذلك كله بسرعة واضطراب وحذر وهي ترهف السمع هنا وهناك.

وإذا نحن نظرنا إلى الموضوع من هذه الزاوية أدركنا أن كل شيء بعد ذلك يتفق معه، أدركنا سر استسلام كارولين في أثناء المحاكمة مع الإصرار على براءتها، وسر قلقها الشديد على أنجيلا وسر رغبتها في إبعادها عن مسرح المأساة إلى الريف، ثم سر إصرارها على إبعادها خارج البلاد خوفاً من أن تنهار أعصاب الفتاة وتعترف بكل شيء.

* * *

الفصل السادس عشر

استدارت أنجيلا نحو الجميع وقالت بصوت حاد وعينين متألقتين بالغضب: أنتم جميعاً أغبياء حمقى. ألا تعرفون أنني لو كنت المذنبة لاعترفت بالحقيقة ولما تركت أختي الحبيبة تتحمل الوزر عني؟

فقال بوارو: لكنكِ عبثت قليلاً بمحتويات الزجاجة التي حملَتها كارولين إلى أمياس.

- أنا؟ ربما، فأنا لا أذكر تماماً، ولكن لا، لقد تذكّرت الآن فقط. عجباً! لقد عبثت بمحتويات إحدى الزجاجات حقاً، ولكنني لم أضع فيها سماً بل تلك المادة التي سبق أن وضعتها في شراب أمياس أكثر من مرة، وهي مادة لا تضر، وأذكر أنها مصيدة للقطط لأن رائحتها تجذب القطط، وأذكر أنني ذهبت في الصباح إلى منزل السيد ميرديث فتسللت إلى هذه الغرفة عن طريق النافذة واختلست كمية من تلك المادة حقاً.

فقال ميرديث: آه، عندما شعرت كأن قطة دخلت هذه الغرفة صباحاً.

فقال بوارو: الذي جعلك تشعر بوجود قط بالذات هو تشممك لرائحة المادة. ما اسمها؟

- فاليريان.

- أجل، فلك حاسة شمّ قوية، وقد أوحت لك هذه الرائحة بأن إحدى القطط هي التي تسللت من فتحة النافذة، وهي فتحة كانت كافية لدخول طفلة منها ولا شك.

فقالت أنجيلا: أجل، أذكر أنني دخلت من فتحة النافذة بعد أن رفعت المصراع قليلاً، ثم عدت إلى القصر من طريق آخر. وهذا يفسر أمارات الشعور بالذنب التي رأتها الآنسة ويليامز وأختي كارولين على وجهي بعد أن أغلقت الزجاجة.

وتوقفت أنجيلا لحظة ثم قالت: ولكنني تذكرت شيئاً آخر هامّاً جداً الآن... تذكرت أنني لم أجد الفرصة الكافية لأضع المادة في الزجاجة في ذلك اليوم لأنني ما كدت أحملها من الثلاجة لأعبث بها حتى أقبلت الآنسة ويليامز وأختي كارولين. نعم، أقسم أنني لم أعبث في ذلك اليوم بمحتويات أية زجاجة.

ثم أردفت بصوت هادئ وهي تنتقل بنظراتها من وجه إلى آخر: أنا لم أقتل أمياس كريل، لا عمداً ولا نتيجة مداعبة ثقيلة، ولو أنني فعلت ذلك لاعترفت بكل شيء.

فقالت الآنسة ويليامز: طبعاً يا عزيزتي، لن يتهمك بقتل أمياس إلاّ كل أحمق غبي.

ثم نظرت إلى بوارو بتحد وغضب، فابتسم بوارو وقال: أنا

لست غبياً ولا أحمق، ولهذا لا أتّهم أنجيلا بارتكاب الجريمة لأني أعرف عن يقين مَن قتل أمياس كريل.

ثم صمت لحظة وأردف قائلاً: من الخطر أن نقبل بعض التصرفات على أنها حقائق ثابتة غير قابلة للشك في حين هي في الواقع أبعد ما تكون عن الحقيقة، ولنأخذ مثلاً الموقف في قصر ألدربري، وهو موقف الصراع الخالد بين امرأتين من أجل رجل واحد. لقد تقبّلنا ببساطة وبداهة تلك الحقيقة، حقيقة عزم أمياس على هجر زوجته والزواج بإليسا، وتلك إحدى الحقائق الخادعة التي ليس فيها من الحقيقة إلا اسمها، ولهذا أقول إن أمياس لم يكن عازماً إطلاقاً على هجر زوجته أو الانفصال عنها.

وصمت بوارو لحظة وراح يطوف بنظراته على وجوه الجميع قبل أن يستطرد قائلا: كان أمياس يتعلق بامرأة ما ويظلّ مفتوناً بها ما دامت نزوة الحب العابر تربط بينهما، فإذا خمدت النزوة نسي كل شيء عن صاحبته. وهكذا كانت غرامياته تدور حول نوع معين من النساء اللائي يعرفن حقيقة العاطفة المتقلبة التي تجيش في صدر الفنان، ولذا لم تكن إحداهنّ تنتظر منه أي شيء لأنها كانت تعرف أن علاقته بها مجرّد نزوة طارئة لا تلبث أن تزول.

ولكن إليسا كانت تختلف، فهي لم تكن امرأة بل كانت أقرب إلى طفلة، كانت فتاة قليلة التجربة عديمة الخبرة أو تكاد، وكما شهد الجميع كانت مخلصة في حبها لأمياس مفتونة به متفانية فيه واثقة منه، وهي قد تكون في نظر الجميع جريئة مستهترة في بعض تصرفاتها صريحة أكثر مما ينبغي ولا يهمها أحد ولا تهتم بغير رغباتها... قد تكون هذه كلها بعض صفاتها،

ولكن المؤكد أنها أحبت أمياس حباً عجيباً، حب الفتاة لفتى الأحلام، وكانت تعتقد بل توقن لفرط استغراقها في الحب أنه يبادلها تلك العاطفة الجبارة بمثلها، وكانت تؤمن إيماناً عميقاً بأن ذلك الحب هو حب الحياة وحب العمر كله وكانت واثقة أنه سيهجر زوجته من أجلها دون أن تطلب منه.

ولكن قد يتساءل أحدكم: لماذا تركها أمياس تعيش في ذلك الوهم الكبير؟ لماذا لم يحاول أن يصارحها بالحقيقة؟ الإجابة على هذه هي «الصورة»؛ هذه الإجابة قد تبدو للبعض غريبة شاذّة غير معقولة، لكنها لن تكون كذلك لمن يعرف نفسية الفنانين. الفنان الأصيل الموهوب يقدّم فنه على كل شيء، وهكذا كان الحال مع أمياس. كانت اللوحة في نظره هي كل شيء، ونحن نستطيع أن نفهم الآن معنى حديث أمياس مع السيد ميرديث بليك عندما ربت على كتفه وقال له ضاحكاً: "اطمئن يا صديقي، سينتهي كل شيء على خير". أرأيتم؟ كان كل شيء في نظر أمياس بسيطاً سهلاً ينتهي بالخير، فهو مشغول برسم لوحة يعتبرها من أعظم اللوحات التي رسمها في حياته، ولن يدع غيرة امرأتين تعوقه عن إتمام هذه اللوحة التي يعتبرها أعظم أعماله.

ولو أن أمياس صارح إليسا بحقيقة مشاعره نحوها لثارت عليه وأبَت أن تجعله يتم الصورة، اللوحة، العمل الفني الذي كان يراه أهم شيء في حياته يومذاك. ومن المحتمَل جداً أنه قد ترك إليسا تعتقد في قرارة نفسها أنه يحبها هذا الحب الذي يجعله في النهاية يضحّي بزوجته وابنته من أجلها، فماذا يهمه؟ لتعتقد ما يشاء لها الحب أن تعتقد ولتظن ما يريد لها الهوى من

الظنون، فهو لا يحفل بما تعتقد وبما تظن بل هو يحفل بشيء واحد فقط، ألا وهو إتمام اللوحة بأيّ ثمن.

وكان يعزّي نفسه في غمرة هذه المحنة بأن الأمر كله لن يحتاج إلى أكثر من يومين أو ثلاثة أيام ثم ينتهي كل شيء على خير كما قال لميرديث. أجل، سينتهي كل شيء في رأيه على خير حين يصارح إليسا بحقيقة مشاعره، حين يقول لها إنه لا شيء بينهما وحين يؤكد لها أنه لا يستطيع أن يهجر زوجته وابنته، فكلنا نعرف أنه كان مستهتراً بعواطف النساء، ولكن ينبغي ألاّ ننسى أنه حذّر إليسا في أول علاقته بها من نفسه، فقد صارحها بحقيقته وذكر لها أيّ رجل هو ولكنها أبت أن تأخذ هذا التحذير مأخذ الجد واندفعت إلى قدرها المقدور بكل عواطفها. ولو أنت سألته عن هذا لقال لك ضاحكاً إن إليسا شابة صغيرة وإنها لن تلبث أن تفيق من صدمة هذا الحب كي تبحث عن حب آخر! ذلك هو أمياس وتلك هي آراؤه عن الحب وعن النساء.

لكن زوجته كارولين كانت المرأة الوحيدة التي يحبها من صميم قلبه ولا يطيق الانفصال عنها إلى الأبد، وكان حبه لها يزداد وتقديره لشخصيتها يتضاعف كلما تسامحت معه وصبرت على تصرفاته ثم يعود إليها نادماً مستغفراً. وكان في أثناء رسم اللوحة مطمئناً من ناحيتها؛ كان يعرف أنها ستصبر لأجله على هذا الوضع يومين أو ثلاثة حتى يفرغ من رسم اللوحة، وهذا هو سر ثورته وغضبه على إليسا حين أحرجت مركزه بحديثها عن الزواج أمام زوجته، فقد وجد نفسه فجأة في أصيل اليوم السابق على المأساة في موقف لا يحسد عليه، وجد نفسه بين إليسا وزوجته، فهو إذا أغضب إليسا وطردها من القصر فإنه

لا يستطيع أن يتم اللوحة ومن ثم تضيع كل جهوده فيها سدى، إذن ماذا يفعل؟

لم يكن أمامه إلا أن يعتمد على تسامح زوجته، فهو سوف يبيّن لها حقيقة الموقف بعد يومين ولن يُحدِث لها ألماً مرة أخرى. وهكذا كان أمياس يفكر وهكذا كان يحل مشكلاته بمثل هذه السهولة والبساطة، لكنه في مساء اليوم نفسه شعر بالقلق على كارولين لا على إليسا، ولعله ذهب إلى غرفتها في المساء ليوضح لها الأمر فأبت أن تحدثه، وأياً كان الأمر فبعد ليلة من القلق والهم انفرد بها في غرفة المكتبة عقب الإفطار وصارحها بالحقيقة، صارحها بأنه لا يحب إليسا وأن شعوره نحوها لا يزيد على شعوره نحو أي شيء يرسمه، وقال وإنه لن يتردد في ترحيلها عن القصر بعد أن يفرغ من رسم اللوحة، أي بعد يوم أو اثنين على الأكثر.

ولا شك أن كارولين أجابت عليه عندئذ هاتفة بنفور وغضب: "هكذا أنت دائماً، سوف أقتلك يوماً ما". ومع ذلك كانت كارولين غاضبة منه مشمئزة من تصرفاته تعتقد أنه اشتد في قسوته على الفتاة الغافلة. وحين رآها فيليب بعد ذلك في الصالة، أعني كارولين، وسمعها تقول لنفسها في ذهول: "يا للقسوة!" فإنما كانت تعبّر عن قسوة أمياس على إليسا لا عليها هي.

أما عن كريل فقد غادر المكتبة ورأى إليسا في الشرفة مع فيليب بليك فطلب منها بخشونة أن تمضي معه إلى حديقة البحر لتجلس حتى يفرغ من إتمام اللوحة، لكن الشيء الذي لم يكن يعرفه هو أن إليسا كانت جالسة تحت نافذة المكتبة من الخارج وأنها سمعَت وعرفت كل شيء، فما كتبته في تقريرها

وما تحدثت به في شهادتها في أثناء المحاكمة لم يكن الحقيقة كلها. ويمكنكم أن تتصوروا الصدمة التي أصابتها حين تبينت الحقيقة، حقيقة شعور أمياس نحوها. وكانت في اليوم السابق على المأساة، أعني عند زيارتها مع الجميع لبيت ميرديث بليك، قد وقفت تتحدث معه خارج باب هذه الغرفة بعد أن فرغ هو من محاضرته عن هوايته. وقد ذكر ميرديث أنه كان واقفاً يحادثها وظهره إلى باب الغرفة، ومن ثم أمكنها أن ترى كارولين وهي تختلس سم الكونين من القنينة، وقد اعترفت هي بذلك، اعترفت أنها رأت كارولين وهي تأخذ كمية من السم من زجاجة الكونين ولكنها لم تقل شيئاً لأحد في تلك الليلة، ولعلها لم تكن تعرف ماذا أخذت كارولين أو لعلها عرفت ولكنها ظنت أن كارولين أخذت السم لتنتحر به...

وأياً كان الأمر فقد فكرت في هذا السم وهي جالسة تنصت إلى الحقيقة تحت نافذة المكتبة، فلما طلب منها أمياس بعد ذلك أن تذهب معه إلى حديقة البحر استأذنت منه قائلة إنها ستصعد لتأتي بسترتها الصوفية لتحتمي بها من هواء البحر، وهي قد صعدت لا لتأتي بالسترة فحسب بل لتظفر بكمية الكونين من غرفة كارولين، والنساء عادة يعرفن بالغريزة المكان الذي تخفي فيه غيرهن من النساء بعض الأشياء.

وهكذا لم تجد إليسا صعوبة في العثور على قنينة الكونين في دُرج خزانة ملابس كارولين، وحتى لا تترك بصمات أصابعها على القنينة أخذت الكمية بطريقة الشفط بشفاطة قلم حبر، ثم هبطَت مسرعة إلى أمياس وذهبت معه إلى حديقة البحر، ثم انتهزت أول فرصة فوضعَت السم في كأس الشراب الساخن

دون أن يراها، وشرب هو الكأس كعادته في جرعة واحدة. وفي نفس الوقت كانت كارولين مضطربة بسبب قسوة زوجها على إليسا، فلما رأتها تعود إلى القصر لتحضر معطفها الصوفي الأحمر أسرعت إلى زوجها في حديقة البحر وراحت تعنفه على قسوته وتطلب منه أن يترفق بالفتاة المسكينة وأن يصارحها بموقفه منها حتى لا يصدمها وهي في أول عهدها بالحياة، ولكنه أجابها بعنف بأن كل شيء قد انتهى وأنها لا بد أن ترحل في أسرع وقت.

وفي تلك اللحظة سمعا وقع أقدام تقترب، أقدام فيليب وميرديث بليك، فاضطربت كارولين وخرجت إليهما وهي تحاول الابتسام قائلة إنها كانت تتناقش مع زوجها في موضوع إلحاق أنجيلا بالمدرسة. وبطبيعة الحال ظن الأخوان، ولهما العذر، أن المناقشة أو المشاجرة كانت خاصة بموضوع أنجيلا وأن قول أمياس عن انتهاء كل شيء والرحيل في أسرع وقت كان يقصد به أنجيلا لا إليسا طبعاً، وعندئذ أقبلت إليسا وفي يدها المعطف الصوفي الأحمر هادئة باسمة واستأنفت جلستها للرسم.

كانت إليسا تعتمد، ولا شك، على أن تهمة قتل أمياس سوف تقع في النهاية على عاتق كارولين، وذلك عندما يعثر المسؤولون على زجاجة الكونين في غرفتها وعليها بصمات أصابعها. والعجيب أن كارولين قد ضاعفت من الخطر المحدق بها حين أحضرَت بنفسها زجاجة الشراب المثلج وصبت منها في كأس زوجها وجرع هو الكأس دفعة واحدة كعادته ثم تأفف وقال: "كل شيء في فمي اليوم مر"، فما معنى هذا؟

معناه الواضح أن شيئاً آخر كان مرّاً في فمه قبل هذه الكأس، وماذا يكون هذا الشيء غير الكأس الأولى التي قدمَتها إليسا له مسممة بالكونين؟

لقد جعل هذا السم البطيء المفعول (كما قال ميرديث) لسانَ أمياس مرّاً، فأخذ كل شيء يتسم بالمرارة. وقد ذكر بليك في تقريره أن أمياس كان يترنح قليلاً وهو يعود للعمل بعد عودة إليسا بالمعطف الأحمر فظن أنه أسرف في الشرب، أما الحقيقة والسبب الحقيقي في هذا الترنح فهو أن مفعول الكونين كان قد بدأ يسري في جسمه.

وهكذا جلست إليسا على سور الحديقة ليرسمها للمرة الأخيرة، ولكي تجعله لا يشك في الأمر إلا بعد فوات الفرصة راحت تثرثر معه بمرح مصطنَع، وقد سمع ميرديث طرفاً من هذا الحديث وهو جالس على الهضبة المشرفة على الحديقة فلوّحت إليسا إليه بذراعها وبذلت كل جهدها لتبدو طبيعية في تصرفها، أما أمياس كريل الذي كان يكره الاعتراف بالمرض فقد ظل يواصل الرسم بعناد برغم شعوره العنيف بتصلب عضلاته، وكان كما قال يظن الأمر بوادر روماتيزم عضلي.

وحين دقّ جرس الغداء استلقى على المقعد الخشبي المستطيل متهالكاً، وكان المسكين عندئذ قد شُل تماماً بحيث أصبح عاجزاً عن طلب النجدة. وأعتقد أن إليسا في تلك اللحظات قد أسرعت وأفرغت بقية قطرات السم من الشفاطة في الكأس وذلك قبل أن يهبط ميرديث من الهضبة ويصل إلى باب الحديقة كي يصحبها معه إلى القصر للغداء، وقد تخلصت

من شفاطة قلم الحبر في أثناء سيرها في الممر حيث وطئتها بقدمها، أما أمياس فنحن لا ندري ماذا كان شعوره في اللحظات الأخيرة. هل عرف الحقيقة؟ هل داخله الشك؟ المهم أنه أثبت أصالة فنه وروعة عبقريته في اللمسات الأخيرة التي رسم بها العينين في اللوحة.

ثم أشار بوارو إلى اللوحة المعلقة في غرفة المعمل وأردف قائلاً: انظروا إلى هاتين العينين وتأملوهما بإمعان، فسوف ترون أن أمياس رسمها بصدق غريزي؛ رسمها وهو لا يشعر. لقد رسم عيني قاتلة، عينَي قاتلة كانت ترقب ضحيتها وهو يموت.

* * *

في ذلك السكون الرهيب المخيم على الغرفة تلاشى آخر شعاع من الشمس الغاربة عن النافذة، وذلك بعد أن استقرّ لحظة على الوجه الشاحب، وجه إليسا التي أصبحت تدعى الليدي ديتشام، وتململت هي في مكانها قليلاً ثم قالت لبوارو: دعهم يخرجون جميعاً.

وظلت في مكانها ساكنة حتى خرج الجميع فيما عدا بوارو الذي تبادل نظرات خاصة مع الأخوين فيليب وميرديث بليك، وأخيراً قالت: ماذا تنوي أن تفعل بعد ذلك؟

- أخبريني أنت أولاً ماذا تنوين أن تفعلي؟

هزّت كتفيها وقالت: أنا لا أدري، فقد كانت حياتي انتهت في تلك اللحظة التي سمعت فيها الحقيقة من أمياس وهو يتحدث مع كارولين في غرفة المكتبة، في تلك اللحظة أحسست كأن

شيئاً في أعماق نفسي قد مات وانتهى، فقد تحولَت جميع عواطفي الإنسانية (أو الحيوانية إذا شئت أن تقول) إلى عاطفة واحدة هي الحقد والرغبة في الانتقام. وكنت قد رأيت كارولين وهي تأخذ كمية من سم الكونين من هذه الغرفة، وخطر لي في أول الأمر أنها قررت الانتحار، ومن ثم لم أشَأ أن أقول شيئاً. ولماذا أقول؟ أليس من الأفضل لي ولأمياس أن تنتحر وتفسح لنا الطريق؟

ثم نظرت إلى بوارو واستطردت قائلة: لكنني حين سمعته يقول لها في صباح اليوم التالي إنه لم يعُد يهتم بأمري في قليل أو كثير وإنه سيطردني من القصر بعد أن يفرغ من الصورة تذكرت فعلاً هذا السم، تذكرته وأنا ألتهب بالحقد عليه وعليها هي التي رثت لحالي وحزنَت من أجلي واتهمت زوجها بالقسوة عليّ! كانت أسعد لحظة في حياتي هي اللحظة التي كنت أراه فيها وهو يموت تدريجياً. لقد وضعت السم في كأسه الأولى تماماً كما ذكرتَ أنت، ووضعت بقاياه في الكأس التي تبقت فيها قطرات من الشراب المثلج الذي حملته إليه كارولين، وكنت أتمنى أن أراها معلقة في حبل المشنقة.

ثم بدت من عينها نظرة ندم وقالت: لكن الشيء الذي لم أتبيّنه فيما بعد هو أنني قتلت نفسي أيضاً بتلك الجريمة التي ارتكبتها.

وسكتت طويلاً ثم قالت بلهجة غريبة: يُقال إن بعض القتَلة يعيشون هادئين مطمئنين ما دام سرّهم خافياً عن الجميع، لكنني لم أكن من هؤلاء؛ فقد كنت أعيش وصورة أمياس في لحظاته

الأخيرة لا تفارق ذهني، كنت أعيش وأنا ميتة حية إذا صح هذا التعبير، والآن لست أرجو منك إلا أن تتركني حتى الصباح، وعندئذ ستعرف أنت والجميع كل شيء.

ثم نهضت كالشبح وسارت خارج الغرفة، ومرّت في طريقها بشاب وفتاة، بجون راتيري وكارلا، باثنين بدآ يشعران بجمال الحياة. وفي الصباح فوجئ قرّاء الصحف بنبأ انتحار الليدي إليسا ديتشام لأسباب لا تزال مجهولة.

* * *

(تمت)